[ملخص تاريخ الحروب الصليبية]

إعداد : محمد فرحات

أهمية دراسة الحروب الصليبية :

١- معرفة أسباب وعوامل نجاح الصليبين في الحملة الصليبية الأولى وإقامة إمارات صليبية في الشام (الرَّها - طَرَابُلْس - أنطاكيا - بيت المقدس) .

٢- معرفة أسباب وعوامل نجاح المسلمين في التصدي للحملات الصليبية التالية، وأهمها التوحد بين مصر والشام والعراق والحجاز .

٣- ربط حركة الحروب الصليبية بالاحتلال الصهيوني لفلسطين من حيث الأهداف والطرق والأساليب :

فلاحظ: أن الظروف التي أدت لقيام الحروب الصليبية هي الظروف نفسها التي أدت لقيام الكيان الصهيوني بفلسطين.

٤- هذه الحركة الصليبية التي لو تقدمت قليلا لقضى عليها تمامًا ، ولو تأخرت قليلا لقضى عليها تمامًا أيضًا ، فكان التوقيت مناسبًا تمامًا :

فلو أتت مبكرة لواجهت قوة عظيمة: وهى (السلاجقة) .

ولو تأخروا قليلا لوُجِهُوا بقادة عظام أمثال **عماد الدين زنكي**، و **نور الدين محمود**، ولم يستطيعوا احتلال بلاد الشام.

أولاً المصادر العربية الإسلامية :-

١- ((ذيل تاريخ دمشق)) لابن القلانسي الدمشقي (ت : ٥٥٥ هـ)

أهمية الكتاب:

- عرض للنزاعات والصراعات بين أمراء الإمارات لإسلامية في الشام إبان الحملة الصليبية الأولى .

- عرض للدور المشبوه الذي قامت به فرقة الحشيشية الباطنية الشيعية الإسماعيلية في اغتيال الأمراء المسلمين الذين يقاومون الصليبيين.

التفصيل :

- اسم المؤلف: أبو يعلى ، **حمزة بن القلانسي** (ت: ٥٥٥ هـ).

- هذا الكتاب يأتي على رأس المصادر المهمة لدراسة الحملات الصليبية، و بخاصة الحملة الصليبية الأولى التي عاصرها ابن القلانسي .

- عرض ابن القلانسي لأحوال بلاد الشام قبيل الحروب الصليبية، وتحدث عن التشرذم والاختلاف بين **رضوان** صاحب حلب و **دقاق** صاحب دمشق وهما من أبناء (**تُتُش**) أخو (**ملك شاه**) وتصارعا على مدن بلاد الشام .

– تحدث **ابن القلانسي** عن هذا الصراع لأنه معاصر، ولأنه كان يعمل في ديوان **دمشق** فكان على صلة بالوثائق والخطابات المتبادلة بين **دقاق** و **رضوان** .

– أدى هذا الصراع إلى ضعف بلاد الشام، التي تمزقت بين الأطراف المتناحرة، بعدما كانت وحدة سياسية واحدة في عهد **تتش** (أخو السلطان **ملك شاه**)، مما مهد لاحتلال الصليبيين لبلاد الشام .

– رصد **ابن القلانسي** دور الباطنية الحشيشية الشيعة الإسماعيلية، الذين تعاونوا مع الصليبيين، و قتلوا العديد من الأمراء المسلمين المجاهدين للصليبيين، و حاولوا قتل **صلاح الدين** مرتين.

– عالج كذلك في كتابه بعض الحوادث السياسية التي وقعت في بلاد العراق و مصر و المغرب.

– كما وقف ابن القلانسي على حركة الإفاقة الإسلامية بعد صدمة الحملة الصليبية الأولى و على مجهودات الأمراء المسلمين في جهاد الصليبيين : **سقمان بن أرتق، طغتكين، شرف الدين مودود.**

– **منهجه في الكتاب:** ذكر المصنف منهجه في الكتاب ، حيث اعتمد على ما صح من أفواه الثقات من نقلة و رواة الأخبار، بالإضافة إلى ما شاهده هو و اطلع عليه بنفسه.

٢- ((تاريخ العظيمي)) (ت : ٥٥٧ هـ)

٣- ((تاريخ حلب)) للعظيمي :

- وهما مفيدان في تعرف أحوال **الشام** بصفة عامة ، و **حلب** و شمال **الشام** بصفة خاصة إبان الحملة الصليبية الأولى.

- و يكتسب المؤلف أهمية خاصة لأنه معاصر للأحداث، و من أهل بيت شارك في الأحداث السياسية في **حلب** في العهد السلجوقي.

- ضم كتابه أخباراً لا توجد عند غيره، و لهذا اقتبس منه العديد من المؤرخين الكبار مثل: **ابن العديم** و **ابن الأثير**.

٤- ((تاريخ دمشق)) لابن عساكر (ت : ٥٧٢ هـ) :

- و هو كتاب كبير، يقع في ثمانين مجلداً.

- وهو كتاب مفيد في تعرف الحياة الفكرية والعلمية في تلك الفترة، ففيه تراجم لكثير من العلماء ، و المشاهير ، و الأمراء و القواد.

- و بالتالي هو مفيد كل الفائدة من حيث التاريخ السياسي و التاريخ الثقافي أيضًا، حيث يرصد الحركة العلمية في دمشق و الشام خلال فترة الحروب الصليبية.

٥- ((الاعتبار)) لأسامة بن منقذ (ت : ٥٨٤ هـ)

- التعريف بالمؤلف: كان **أسامة بن منقذ** أميراً لأحدى إمارات الشام (إمارة **شيزر**).

- عاصر الكثير من الأحداث، و رافق **عماد الدين زنكي** بضع سنين و اطلع على تفاصيل نشاطه السياسي، كما كانت له صلات مع عدد من الأمراء الصليبيين ، سمحت له بالطلاع على أحوالهم، مما لا يوجد في غيره من المصادر التاريخية.

أهمية الكتاب:

- الكتاب عبارة عن مذكرات كتبها **أسامة بن منقذ** أوضح فيها الكثير من أحوال الشام في فترة الحروب الصليبية.

- و أما عن أخبار الصليبيين التي أوردها : فهي أخبار وقف عليها بنفسه و رآها بعينه نتيجة لصلاته ببعض الأمراء الصليبيين، فوقف **ابن منقذ** على الأحوال الاجتماعية، و الثقافية للصليبيين.

- فيرصد الكتاب تخلف الصليبيين الحضاري ، و من ذلك :ما شهده أسامة من تخلف الطب لديهم، و كذلك يرصد أحوالهم الاجتماعية، فوصفهم بالجهل و الغباء، وقال عنهم: إنهم بهائم في صورة فرسان.

- كما حكى عن سوء أخلاقهم وعدم نخوتهم ، وعدم حفاظهم على أعراضهم.

- و قارن الكتاب بين الحضارة الإسلامية في قمتها ، وبين مدى الانحطاط الثقافي والعلمي والإنساني لهؤلاء الصليبيين الذين أتوا لإنقاذ قبر السيد **المسيح** عليه السلام من أيدي المسلمين ، ويسمون جيشهم جيش الرب ، للتخلص من المسلمين الوثنيين .

و نظراً لأهمية الكتاب: ترجم إلى كثير من لغات العالم، بل و ذكر محققه أنه ما من أحد في الشرق أو الغرب كتب في الحروب الصليبية، أو في العلاقات الاجتماعية بين المسلمين و الصليبيين، أو في تأثير الحضارة الإسلامية في الثقافة الأوروبية، إلا اعتمد على هذا الكتاب بشكل مباشر أو غير مباشر.

٦- ((المنتَظَم في تاريخ الملوك والأمم)) لأبي الفرج ابن الجوزي (ت : ٥٩٢ هـ)

- التعريف بالمؤلف: **ابن الجوزي** : من كبار علماء المسلمين، له عدة تصانيف في مختلف العلوم، مثل الفلك و الطب و غيره ، و برع في مجال الوعظ.

قيمة هذا الكتاب :

- الوقوف على أحوال الخلافة العباسية قبل الاحتلال الصليبي لبلاد الشام.

- رصد أثر الاحتلال الصليبي على الخلافة العباسية، و أحوال العراق بالتفصيل أثناء هذا الغزو.

- ذكر علاقة أمراء الشام بالخلافة العباسية و الدولة السلجوقية.

٧- ((البرق الشامي))

٨- ((الفتح القسي في الفتح القدسي)) :

- وكلاهما **لعماد الدين الأصفهاني** (ت : ٥٩٧ هـ): كان فقيهاً و لغوياً و مؤرخاً .

- كان رئيساً لديوان الإنشاء **لنور الدين محمود** ، كما كان ملازماً **لصلاح الدين الأيوبي** حتى وفاته، وشارك في تحرير القدس (٥٨٣ هـ).

أهمية الكتاب:

- بدأ الكتاب بمقدمة مهمة عن أهمية التاريخ ، و فصل منهجه في الكتاب.

- يرصد الأحداث بدقة : لأنه كان شاهد عيان، و مقرباً من السلطان، و شارك بنفسه في الجهاد ضد الصليبيين.

- وصف الجهود التي بذلها **صلاح الدين** في جهاده ضد الصليبيين، كما تحدث بالتفصيل عن الحملة الصليبية الثالثة بقيادة **ريتشارد قلب الأسد**، ملك **أنجلترا**، و **فيليب أغسطس** ، ملك **فرنسا**، و ما انتهت إليه من فشل، و عقد معاهدة صلح **الرملة**.

٩- ((مضمار الحقائق وسر الخلائق)): لمحمد بن عمر بن شاهنشاه (ت:٦١٧ هـ)

- من أمراء البيت الأيوبي : كان صاحب **حماة** و**صلاح الدين** هو عم والده.

- يقع كتابه في ١٠ أجزاء .

أهمية الكتاب:

- شارك بنفسه في أحداث الحروب الصليبية ، فلقد اشترك مع **صلاح الدين** في جهاد الصليبين ، وقام بنفسه برد الصليبين عن **حماة** ٦٠١ هـ .

- تضمن كتابه أحداثاً مفصلة لم تنقلها أي مصادر أخرى.

- بدأ كتابه بذكر الخلافة العباسية التي لم تكن على مستوى المسؤولية، و ذكر بعضاً من أخبار الخلفاء الذين انشغلوا بتوافه الأمور و تركوا بلاد الإسلام نهبة للصليبيين.

١٠- ((الكامل في التاريخ)):للمؤرخ بن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) :

- التعريف بالمؤلف: هو مؤرخ كبير جدًا ، و كتابه جمع مادة تاريخية ثرية جداً.

- كان شاهد عيان على الأحداث في بعض مراحل الحرب الصليبية المتأخرة لأنه توفى سنة ٦٣٠هـ، بل و كان شاهد عيان على خطر **المغول** الذين خرجوا على العالم الإسلامي سنة ٦١٧ هـ.

- كان صاحب فكرٍ راقٍ، و من دلائل ذلك: أنه فهم المراد من الحركة الصليبية ووقف على مغزاها ، فلم يبدأ بالحديث عن مهاجمة الصليبين للعالم الإسلامي سنة ٤٩١ هـ ولكنه بدأها قبل ذلك حين بدأها سنة ٤٧٨ هـ بسقوط **طليطلة** على يد الأسبان النصارى في الأندلس ، وأتبع ذلك بالحديث عن سقوط **صقلية** على يد النورمان ٤٨٤ هـ ، ثم تحدث عن حروب الصليبين ٤٩١ هـ وربط بين العدوان الأوروبي على بلاد الأندلس وبين العدوان الأوروبي على بلاد الشام ومصر.

⇦ له كتاب آخر :((**كتاب التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية**)):

- كتب فيه بالتفصيل عن أخبار الدولة الزنكية مما لم يرد في كتابه الكامل، و ساعده على ذلك نشأته في الموصل، و عمل والده في بلاط الدولة، مما أمده بمعلومات كثيرة و قيمة.

- يؤخذ عليه: أنه تحيز للأسرة الزنكة على حساب **صلاح الدين**، فلقد استولى **صلاح الدين** على أملاك هذه الأسرة في سبيل تحقيق وحدة الشام ، لجهاد الصليبيين.

⇦ فهاجمه **ابن الأثير** ظناً منه أنه يؤسس دولة له و لأبناءه من بعده.

- لكن مع هذا: كان يحترم **صلاح الدين** و يحفظ له قدره، و يثني عليه خاصة بعد تحرير الأقصى ٥٨٣ هـ .

١١- ((التاريخ المنصوري)) : محمد بن علي بن نظيف (ت: بعد ٦٣١ هـ):

- ينسب كتابه إلى الملك **المنصور** صاحب **حمص**، حيث عمل **ابن نظيف** في بلاطه.

- يتضمن الكتاب معلومات تاريخية قيمة لأحداث مفصلة كان شاهد عيان عليها، أو اطلع عليها بحكم منصبه.

- و من هذه المعلومات التاريخية: أخبار متصلة بالصليبيين و رسلهم إلى ملوك المسلمين، ربما لا نجدها في مصادر تاريخية أخرى.

١٢- ((النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية)) ، أو ((سيرة صلاح الدين)) لابن شداد ت ٦٣٢ هـ :

- التعريف بالمؤلف: هو **بهاء الدين بن شداد**: كان قاضياً، و مؤرخاً، و من علماء الفقه و الحديث.

- لازم **صلاح الدين** لمدة خمس سنوات، فاطلع على كثير من الأحداث و جوانب شخصية **صلاح الدين** ، لهذا يكتسب كتابه أهمية بالغة، حيث أورد الأخبار التي اطلع عليها بنفسه ، أو أخبره بها من يثق به ممن عاين الأحداث .

- يتميز الكتاب بحيادية الكاتب و عدم مبالغته في مدح **صلاح الدين**.

١٣- ((مرآة الزمان)) : لسبط بن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ).

- العريف بالمؤلف: هو حفيد **ابن الجوزي** ، كان شاهداً على الأحداث المتصلة بالحروب الصليبية، و شارك في بعضها، خاصة في مراحلها المتأخرة، و نقل أخباراً مهمة عن المشاركين في تلك الحملات.

- وتحدث فيه عن أحوال **العراق** أثناء الحروب الصليبية، و عن الجوانب الحضارية لمختلف الأقطار الإسلامية في ذلك الوقت، من ذلك ما نقله عن أخبار التقدم الحضاري في **مصر** أثناء زيارته لها، و خاصة مدينة **الأسكندرية**، حيث انبهر بحضارتها، و كثرة علمائها.

١٤- ((زبدة الحلب من تاريخ حلب))

١٥- ((بغية الطلب في تاريخ حلب)) : للمؤرخ بن العديم (ت ٦٦٠ هـ) :

- التعريف بالمؤلف: كان **ابن العديم** سفيراً بين الملوك من بني أيوب ، في الصلح و التهنئة في المناسبات، و التعزية ، وغير ذلك.

- تعد كتاباته من أهم المصادر التي توضح أحوال بلاد الشام قبل الغزو الصليبي.

- يرصد في كتابيه: دور المجاهدين الأوائل، مثل: **برسق بن برسق**، و**طغتكين**، و **نجم الدين إيلغازي**.

- كما يرصد دور **عماد الدين زنكي**، و ابنه **نور الدين محمود**، ثم الأيوبيين في جهاد هؤلاء الصليبيين بعد ذلك.

١٦- ((الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية)): أبو شامة (ت ٥٦٥ هـ)

- التعريف بالمؤلف: فقية شافعي مشهور ، و محدث، و مؤرخ.

- بدأ بدراسة العلوم الشرعية ، ثم اهتم بالتاريخ، و كان قدوته في ذلك : الإمام **الشافعي** الذي درس التاريخ ٢٠ سنة وقال: ما أردت بذلك إلا الاستعانة على الفقه .

- أهمية الكتاب:

- خصص المؤلف هذا الكتاب لتاريخ **نور الدين محمود** و **صلاح الدين الأيوبي**.

- ذكر المصنف في مقدمة كتابه المصادر التي اعتمد عليه في تدوين الكتاب، حيث اعتمد على مصادر كثيرة أغلبها مفقود، بالإضافة إلى الكثير من الوثائق التي ينقل عنها، فلديه ما يزيد على ٢٠٦ وثيقة ، يأتي بها في مواضعها لتوثيق الأحداث، مما أكسب كتابه قوة و أهمية خاصة.

- يتميز المصنف بالدقة، و التحري ، مع الملكة النقدية المتميزة.

- في هذا الكتاب : أورد نص كتاب مفقود لمؤرخ (ت ٦٣٠ هـ)، اسمه **ابن أبي طي** ، و هو مؤرخ حلبي ، كتب عن الحملة الصليبية كتابًا اسمه ((تاريخ حلب)) ، هذا الكتاب ضاع، ولكن أركان الكتاب وأعمدته موجودة عند أبي شامة في الروضتين ، لأنه اطلع على الكتاب .

⇦ كان **ابن أبي طي** شيعياً، و لأن **نور الدين محمود** أذل الشيعة في عصره وحبس والده الذي كان من رؤوس الشيعة، فإن **ابن أبي طي** تحامل على **نور الدين محمود** في كتابه ، وتحدث عن وجود خلافات عميقة بينه وبين **صلاح الدين الأيوبي** محاولاً تشويه صورة كليهما.

- **أبو شامة** فند ما كتبه هذا المؤرخ، خاصة ما كان فيه من تجريح **لنور الدين**، أو ما زعمه من إساءة **نور الدين لصلاح الدين**، و نفى الخلافات بين **صلاح الدين** و**نور الدين** وأورد رسائل متبادلة بين الطرفين تثبت حسن العلاقة بينهما.

- و **لأبي شامة** كتاب آخر : ((الذيل على الروضتين)): استدرك فيه الكثير من الحوادث التي لم يذكرها في الروضتين.

مصادر أخرى:

هناك كتب أخرى لها أهمية كبيرة : " لا يغنى كتاب عن كتاب " .

- **السيوطي** (ت ٩١١ هـ) : له كتاب ((حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة)).

أتى برواية عن استدعاء الدولة الفاطمية للصليبين هذه الرواية لم ترد عن غيره ، حيث السيوطي انفرد بهذه الرواية .

- **المقريزي** : ((السلوك لمعرفة دول الملوك)) .

- **النويري** : ((نهاية الأرب في فنون الأدب)) .

- **ابن كثير**: ((البداية و النهاية)).

- **الذهبي**: ((تاريخ الإسلام، العبر في خبر من غبر)).

- **ابن خلكان** : ((وفيات الأعيان)).

- و من كتب الرحلات: رحلة **بنيامين التطيلي**، وهو مؤرخ يهودي من أهل الأندلس، رحل إلى المشرق و وصف القدس و أحوالها عام ٥٦٤ هـ.

المصادر اللاتينية :

حظيت الحروب الصليبية بكتابات لمؤرخين غربيين عاصروا تلك الأحداث، و شاركوا في هذه الحملات، و كتبوا عنها، و كانت السمة العامة لهذه الكتابات:

١- التعصب الصليبي الأعمى.

٢- تعطش الصليبيين إلى دماء المسلمين.

٣- الكراهية الشديدة و الحقد الأعمى على المسلمين.

من أبرز هؤلاء المؤرخين:

١- المجهول النورماندي صاحب كتاب ((أعمال الفرنجة و حجاج بيت المقدس)):

- شارك في الحملة الصليبية الأولى ، حيث صاحب: **بوهيموند النورماندي**، و بدأ رحلته من إيطاليا، و ضم كتابه أخباراً عن الجماعات الإيطالية التي أسهمت في تلك الحملة.

- يعد كتابه من أهم مصادر الحملة الصليبية الأولى.

- يتناول فيه الفترة منذ دعوة **كليرمونت** حتى وقعة **عسقلان** ٤٩٣ هـ بعد سقوط **بيت المقدس**.

أهمية الكتاب:

– يتميز الكاتب بالدقة و الصدق فيما نقل، و يظهر ذلك جلياً بمطابقة هذه الروايات مع غيرها في المصادر اللاتينية الأخرى، أمثال: كتابات **ريموندا جيل**، و **فوشيه**.

– نقل مشاعر الصليبين تجاه المسلمين الذين وصفهم بالكفرة الوثنيين، و أعداء المسيح، و ذكر هتاف المسلمين " الله أكبر" بأنه كلمة شيطانية.

– نقل بدقة جرائم الصليبيين في تلك الحملة، بل و عبر عن فرحته و فرحة الصليبيين بهذه الجرائم، من ذلك : وصفه للمذابح التي ارتكبت في **أنطاكية**، و **طرابلس** ، و **القدس** لما استولى عليها الصليبيين، حيث قال عن مذبحة القدس :" جرت مذبحة هائلة، فكان رجالنا يخوضون حتى كعوبهم في دماء القتلى".

– كما وصف أيضاً أعمال السلب و النهب في كل مكان دخله الصليبييون.

– و لم تقتصر هذه الجرائم على المقاتلين الصليبيين فقط، بل أورد أيضاً نصاً مهماً يبين اشتراك الحجاج المسيحيين في تلك الجرائم.

– كما أورد كيفية معاملة الصليبيين لأسرى المسلمين، حيث كانوا يقتلون كل من يرفض اعتناق النصرانية منهم.

٢- ريموندا جيل صاحب كتاب ((تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس)):

- اشترك في الحرب الصليبية الأولى، حيث رافق جيش **ريموند الرابع** (ريموند الصنجيلي).

- بدأ رحلته من **فرنسا** حيث موطنه الأصلي، و رافق **أدهيمر** المندوب البابوي للحملة الصليبية، ثم أصبح كاهناً **لريموند**.

- بدأ في تدوين الأحداث من حصار الصليبيين **لأنطاكية** ٤٩١ هـ.

- كان الكتاب مدوناً باللاتينية، ثم ترجم إلى الإنجليزية، ثم إلى العربية بعد ذلك.

أهمية الكتاب:

- يتميز الكاتب بالدقة في السرد، مع كثرة التفاصيل، و يعد ثقة فيما يورده من الحوادث، و يكاد يتفق مع ما كتبه المجهول صاحب كتاب: أعمال الفرنجة و حجاج بيت المقدس.

- لكنه أفسد القيمة العلمية للكتاب بالانسياق وراء العاطفة، و كثرة إيراده للأساطير، و ادعاءه حدوث المعجزات للصليبيين و التي مكنتهم من التغلب على المسلمين، من ذلك قوله: أن الرب يسوع (تعالى الله عن ما يقولون) كان يتجلى لهم عقب كل انتصار .

- نقل مشاعر الكراهية الصليبية تجاه المسلمين، الذين وصفهم بقوله: أنهم دنسوا الأرض التي ولد فيها المسيح و رسله.

- نقل أيضاً جرائم الصليبيين في تلك الحملة، بل و عبر عن فرحته و فرحة الصليبيين بهذه الجرائم، من ذلك : وصفة للمجزرة التي حدثت في **القدس**، و ما حدث من أكل الصليبيين لحوم جثث المسلمين في **معرة النعمان**.

- و وصف كذلك أعمال السلب و النهب.

- و لم يخف المؤلف فرحه بهذه الجرائم و اعتبرها " عدالة إلهية" !!

- كما أكد على تعاون النصارى في الشرق مع الصليبيين ، من ذلك: أنهم وصفوا الطرق للصليبيين وصفاً دقيقاً، و دلوهم على أفضل الطرق إلى **بيت المقدس**.

٣- فوشيه أوف شارتر: صاحب كتاب ((أعمال الفرنجة الحاجين إلى بيت المقدس)).

- كان قسيساً في **شارتر** بفرنسا، ثم تحمس للحملات الصليبية بعد حضوره مؤتمر "**كليرمونت**".

- صحب الحملة الصليبية الأولى، حيث انضم إلى **روبرت النورماندي** أولاً، ثم انضم إلى الكونت **بلدوين**، مؤسس إمارة **الرها**، و أصبح قسيساً لحملته.

- تناول الحملة الأولى منذ خروجها من أوروبا حتى سقوط **بيت المقدس**.

- و يتميز عن المصدرين السابقين بأنه امتد في تأريخه حتى سنة ٥١٢ هـ.

أهمية الكتاب:

- يعد من المصادر المهمة للحملات الصليبية بصفة عامة، و لتاريخ إمارة **الرها** بصفة خاصة، و رواياته عن الأحداث في **الرها** تعد قاطعة و حاسمة لأنه الوحيد الذي كان شاهد عيان عليها.

- و ظهرت لديه نبرة التعصب الصليبي و الكره للمسلمين الذين وصفهم : بالكفرة الوثنيين أعداء الرب.

- أكد على المعلومات المذكورة في المصادر السابقة: من جرائم الصليبيين، فلقد أكد على نهب الصليبيين للمدن الإسلامية، و اعترف بوحشية الصليبيين، من ذلك: ما ارتكبوه من مجازر في مدينة **قيصرية** حتى إنه لم يبق فيها من الذكور إلا أعداد قليلة للغاية، و منها: قيام الصليبيين بحرق حثث المسلمين و التمثيل بها بحثاً عن الذهب، كما أكد ما ذكره **ريموندا جيل** من أكل لحوم المسلمين.

- و اورد تفاصيل المذبحة التي ارتكبها الصليبيون في **القدس**.

- و أورد الروايات التي تذكر حدوث المعجزات و الكرامات لجيوش الصليبيين.

- كما اتفق مع **المجهول النورماندي**، و **ريموندا جيل** حول خيانة نصارى الشرق، و تعاونهم مع الصليبيين.

٤- جوانفيل ((تاريخ القديس لويس)):

- صحب **لويس التاسع** في حملته على مصر و الشام ، و التي عرفت بالحملة الصليبية السابعة سنة ٦٤٧ هـ .

- كان **جوانفيل** صديقاً **للويس التاسع** و نشأ معه منذ الصغر ، لهذا كان موضع ثقته، و محبته، و من أكثر المقربين لديه، و من بطانته الخاصة، و بعد وفاته صار من بطانة ابنه الملك **لويس العاشر**.

أهمية الكتاب:

- يعد أهم مصدر لهذه الحملة، لأنه كان شاهد عيان، و اشترك في كل المعارك فيها، و كل أحداثها، و كان يشغل في الجيش منصباً رفيعاً.

- و لم يفارق **جوانفيل لويس التاسع** إلا حين قام **لويس** بحملته على تونس، رغم دعوة **لويس جوانفيل** للمشاركة في الحملة، لكن الأخير لم يشارك فيها ليقينه من عدم جدواها.

- صور حال جيش لويس و ما كان فيه من الموبقات يرتكبها رجاله.

- أشار إلى اعتناق بعض القسيسين للإسلام، و أشاد بحسن معاملة المسلمين و إنقاذه من الموت.

ثم كانت هناك مصادر أخرى و لكن لمؤرخين لم يعاصروا الحملات، منها:

١- وليم الصوري : صاحب كتاب ((الحروب الصليبية)):

- التعريف بالمؤلف: ولد **وليم الصوري** في **صور** سنة ٥٢٥ هـ ، لأبويين صليبيين نزحا من أوروبا واستقرا في صور ، تعلم العبرية ، واللاتينية والعربية والفارسية، و دخل في خدمة الكنيسة ، ثم تدرج في المناصب الكنسية.

- ثم أصبح وليم الصوري رئيس أساقفة صور ، وكان على علاقة بملك مملكة بيت المقدس "**عموري الأول أو أموري الأول** " الذي طلب منه أن يكون مؤرخاً له ، و لحملته الصليبية على مصر ٥٥٩ هـ.

أهمية الكتاب:

- من أكثر المصادر اللاتينية دقة و شمولاً.

- بدأ تدوين الكتاب من عام ٥٠٨ إلى ٥٨٠ هـ.

- اعتمد **وليم** على كتابات الكثيرين من المعاصرين للأحداث، إلى جانب اعتماده على الرواية الشفوية في بعض أجزاء كتابه.

- يمتاز الكتاب: بسلاسة العرض مع دقة التفاصيل، و توثيق المعلومات.

- لهذا أهتم به الباحثون، و جرت محاولات مبكرة لنشره و ترجمته إلى اللغات الأوروبية.

- كما وضع الكثير من الباحثين ذيولاً و حواشٍ على الكتاب منها ما أعده الأستاذ الدكتور/ حسن حبشي رحمه الله.

٢- وليم الراهب: ((أعمال ملوك انجلترا)).

٣- كفارو: ((تحرير مدن الشرق)).

المصادر البيزنطية، و الأرمينية، و السريانية:

١- ((ألكسياد)): أنا كومنينا :

- مؤلفته هي ابنة الأمبراطور البيزنطي: **الكسيوس كومنين**.

- يعتبر أهم مصدر بيزنطي للحملة الصليبية الأولى.

- في بداية الكتاب: ترجمت المؤرخة اليونانية لنفسها و بينت أنها أرادت بهذا الكتاب أن تكشف عن سيرة والدها، و أعماله، و كذلك أعمال زوجها **نقفور** و أخيها **يوحنا الثاني**.

- و صفت في هذا الكتاب أحوال الأمبراطورية و علاقاتها قبل تلك الحملة.

– ثم وصفت أحداث الحملة الأولى بدقة، حيث وصفت الجيوش، و أعدادها الهائلة، و أكدت مراراً و تكراراً على كثرة الصليبيين الذين رسموا الصليب على أكتافهم،و وصفت تصرفات أفراد هذه الحملة التي اتسمت بالهمجية، كما أشارت إلى أعمال السلب و النهب التي قاموا بها في البلاد التي مروا فيها مع أنها بلاد تشاركهم نفس الديانة..!!

– و تكلمت بالتفصيل عن دور **بطرس الناسك**، و وصفت حملة العامة و ما ارتكبته من حماقات.

– كما اهتمت بوصف هؤلاء الأوروبيين و ما اتسموا به من طمع و شره نحو المال، و أبدت ألمها من طمعهم في الإمبراطورية البيزنطية.

– و من الملاحظ أنها لم تشر إلى البابا **أوربان الثاني** و لا إلى أي من البابوات الذين عاصروا أباها، و تفسير ذلك: اختلاف المذهب ، و كذلك كرهها لهؤلاء الذين تسببوا في الغارة على القسطنطينية.

٢– ((تاريخ متَّى الرَّهاوي)):

– من أبرز المصادر الأرمينية : والرهاوى نسبة إلى **الرُها** ، وهذا الكتاب شاهد عيان على احتلال الصليبين **للرُّها** ، وشاهد عيان على تحريرها على يد **عماد الدين زنكي**.

٣- ((تاريخ ميخائيل السيرياني)):

- المصدر السيرياني المتبقي للحروب الصليبية.

أوروبا عشية الحروب الصليبية

-**ملاحظة:** لو جاء هذا الموضوع في الامتحان لا تكتب فيه موضوع إنشاء ، بل عناصر محددة كما سنذكرها .

مقدمة:

- أعقب سقوط الإمبراطورية الرومانية في غرب أوروبا على أيدي الجرمان سنة ٤٧٦ م فترة قاتمة أطلق عليها المؤرخون " العصور المظلمة " امتدت حتى القرن الحادي عشر الميلادي.

- اتسمت هذه الفترة بالتأخر و الانحلال على كافة الجوانب: الحضارية و السياسية و الاجتماعية.

- و كانت أوروبا حتى القرن الحادي عشر الميلادي لا تزال مجرد منطقة جغرافية لم تتشكل بعد على المستوى السياسي، كما أنها كانت مجرد منطقة ريفية متخلفة بالقياس إلى كل من العالم البيزنطي و العالم العربي الإسلامي.

(١) نظام الإقطاع :عرفت أوروبا منذ القرن الثامن الميلادي نظام الإقطاع، وهذا النظام الإقطاعي يختلف عما نسمعه في " الإقطاع بمفهومه الحديث "، لكن النظام الإقطاعي في أوروبا كان نظاماً سياسياً اجتماعياً اقتصادياً عسكرياً .

⇦ وأيضا ما عرفته الحضارة الإسلامية من إقطاع للأراضي لا يُشبه هذا النظام الإقطاعي الأوروبي، فمنذ عهد النبي ﷺ كانوا يقطعون الأراضي لمن يستصلحها ويزرعها ويستفيد منها.

⇦ وفى عهد الأيوبيين والمماليك كانت الدولة الإسلامية تقطع بمعنى (تمنح وتعطى) الفرسان المسلمين أراضى يزرعونها في مقابل المشاركة في القتال ، هذه الأرض كانوا يملكونها ويستأجرون من يزرعها .

❐ وهذا النظام يختلف كليةً عن النظام الإقطاعي الأوروبي ،الذي هو سياسي اجتماعي اقتصادي عسكري ظهر منذ القرن الثامن الميلادي واستوى على سوقه في القرن الحادي عشر الميلادي.

سبب هذا النظام: وسبب ظهور هذا النظام الإقطاعي هو "غزوات **الفيكينج**" الذين قدِموا من الدنمارك وهددوا أوروبا الغربية، فما كان من الأوروبيين الحكام إلا أنهم قسموا **فرنسا** بالتحديد إلى أقسام ، جعلوا كل قسم لسيد يدافع عن هذا القسم ، للحصول على قدر من الأمان و الحماية، فانحلت السلطات المركزية منذ القرن التاسع الميلادي، و اضطر الملوك و الأباطرة ألى التنازل عن الكثير من حقوقهم و سلطاتهم لأمراء الإقطاع .

⇦و هذا النظام الإقطاعي معناه : أن السيد الإقطاعي يملك الأرض، وأن الفلاحين الذين يعملون عنده هم عبيد ، و فوق هذا يقتاتون بأقل القليل ويدفعون له ضرائب ، فكل شيء يقوم به هؤلاء الفلاحون الأوربيون يدفعون عليه ضرائب، بل و فرضت عليهم ضرائب حتى في المناسبات: كمناسبة الزواج أو تولي وريث جديد.

يضاف إلى هذا احتكار السيد للخدمات ،كالطاحونة و المخبز، فعلى الفلاح أن يدفع أيضاً مقابل تلك الخدمات.

⇦ فكانت حياة هؤلاء الفلاحين في غاية الانحطاط و السوء، فضلاً عن تآكل الرقعة الزراعية بفعل هجمات عناصر الشمال، و الحروب و الصراعات الداخلية، فازدادت أعداد البشر و قلت الموارد، مما شكل أزمات طاحنة.

- كما كان للسيد الإقطاعي بعض فرسان، الذين يستعين بهم في تدبير شؤون اقطاعيته، مقابل منحهم بعض الأرضي الصغيرة.

- وكل إقطاعي كان له (قسيس) يعترف أمامه وكنيسة.

- والنظام الإقطاعي يقضى بأن الابن الأكبر هو الذي يرثُ أباهُ فقط ، والباقي من الأبناء يتزوج من أرملة إقطاعي أو فارس حتى يرث ما عندهُ من أرض والبعض يشترك مع غيره ويُغيرون على أراضى إقطاعي من هؤلاء الإقطاعيين والفرسان في أوروبا .

- وكان من الممكن أن يتم قطع بعض الغابات و منحها لهؤلاء الذين لا يملكون أراضٍ ليستغلوها في الزراعة ، لكن السادة الإقطاعيين كانوا يرفضون هذا لأنهم في أوقات الفراغ يصطادون ويلهون في هذه الغابات فمنعوا من قطعها.

- و لم تستطع الكنيسة التدخل لتعديل هذه الأوضاع نظراً لأن الكنيسة نفسها كانت متورطة في هذا النظام البغيض، بل كانت الكنيسة من أكبر الإقطاعيين في أوروبا على الإطلاق.

- ظهر هذا النظام البغيض بصورة بشعة في فرنسا خاصة ، ولذلك نجد البابا و هو فرنسي خاطب هؤلاء الفرسان في **فرنسا** والعبيد، و ركز على **فرنسا** تحديداً بخلاف الممالك الأخرى القوية، مثل **انجلترا** ، و **ألمانيا**.

لذلك حينما دعاهم وخاطبهم البابا للخروج في الحملة الصليبية وافقوا من غير تردد ولا تفكير، و لذلك أغلب الذين خرجوا لهذه الحملة الصليبية هم من الفرنسيين ، والسبب الذي دفعهم لهذا هو :

١- بالنسبة للعبيد: كان سبيلهم لنيل الحرية، و التخلص من حياة البؤس، خاصة أن السنوات التي سبقت الحملة الصليبية الأولى كانت حافلة بالكوارث و المجاعات و الأوبئة.

٢- بالنسبة للفرسان: كانت وسيلة للحصول على اقطاعيات، و التخلص من التهميش الذي يعيشونه، و الصراعات التي كانت بينهم، بالإضافة إلى الوعود بالغفران من الكنيسة.

٣- بالنسبة لأصحاب الإقطاعات : كانت فرصة لزيادة ممتلكاتهم و ثرواتهم.

(٢) أما الوضع في إيطاليا " الجمهوريات الإيطالية " :

قد عرفت الجمهوريات الإيطالية، المستقلة، غير الخاضعة لسلطة الكنيسة ((**البندقية – جنوة – بيزا**)) [انظر خريطة: ١] التجارة مع القسطنطينية والتجارة مع الدولة الفاطمية وأصبحت الجمهورية البندقية لها دستور كبير في القرن ١١ الميلادي ، وهذه الجمهوريات الإيطالية أسقطت مع بيزنطة الحكم الإسلامي من جنوب إيطاليا سنة ٣٥٥ هـ ،وتم طرد المسلمين من جنوب **إيطاليا** والبحر المتوسط ، فرأت أن تستكمل هذه الحروب ضد المسلمين وأن تستثمرها:

١- رجاء النفع المادي من بلاد المسلمين.

٢- و الحصول على الأراضي التي وعدهم بها البابا.

٣- و كذلك السيطرة التامة على التجارة البحرية في البحر الأبيض.

فشاركت بأساطيلها في الحروب الصليبية، لنقل المحاربين، و نقل الأسلحة و سائر الإمدادات .

(٣) أما إسبانيا : فقد كانت مشغولة بحرب المسلمين ، ولذلك البابا طلب من الأسبان عدم المشاركة في الحرب الصليبية لأنهم مشغولون فعلا بحملات صليبية ضد المسلمين .

(٤) أما إنجلترا : فقد كانت لها مشاكل مع النورمان، ومع ذلك شاركت في الحملة الصليبية الأولى.

(٥) أما ألمانيا : فقد كانت هناك مشاكل داخلية وخارجية، ومشاكل مع البابا ، فالبابا شَلَح أي خلع الإمبراطور الألماني ، و طالما أن البابا غير راضٍ عنه فيخلع ويطرد من منصبه ، ولذلك لم تشارك ألمانيا في هذه الحملة بسبب مشاكلها مع البابا .

أحوال الدولة البيزنطية عشية الحروب الصليبية:

كانت الدولة **البيزنطية** تحتل مصر ، كما كانت تحتل الشام والساحل المغربي وتحتل أجزاءً من آسيا الصغرى قبل الإسلام [انظر خريطة :٢].

ثم فتح المسلمون هذه البلاد بعد الإسلام ، وأصبحت في عداء دائم مع الدولة الإسلامية.

-وحتى القرن ٤ الهجري (الـ ١٠ الميلادي) كانت الغَلبةُ للدولة الإسلامية (سواء للدولة **الأموية** أو **العباسية**) وبدءًا من القرن الرابع الهجري وبالتحديد أيام قيادة ((**نقفور فوكاس أو فوقاس**)) أصبح للدولة البيزنطية الغَلَبَةَ على الدولة الإسلامية .

- استطاع **فوقاس**:

⇦ أن يستولي على **أنطاكية**: و كان لذلك دوي هائل في العلم المسيحي لمكانة هذه المدينة لديهم، و سقطت بخيانة من النصارى فيها.

⇦ أن يخضع حلب وأن يفرض عليها الجزية.

⇦ هدد الأجزاء الشمالية والوسطي من الشام و كادت أن تسقط في يد الإمبراطورية البيزنطية.

⇦ فكر في الزحف على **بغداد،** و أرسل رسالة تهديد إلى الخليفة، و أخبره أن عليه أن يتوجه للحجاز و يترك الأراضي التي استولى عليها المسلمون من البيزنطيين.

فالخلاصة: أن في عهد **نقفور فوقاس** أصبحت الدولة البيزنطية لها الكلمة على الدولة الإسلامية بصفة عامة، وفى الشام بصورة خاصة.

ثم خلف نقفور قوقاس : الإمبراطور ((**حَنَّا زا مسكيس أو الشمشقيق**)).

- قام **الشمشقيق** بالآتي :

⇦ واصل الحملات على بلاد الشام .

⇦فرض سيطرته على العديد من المدن الشامية، و فرض عليها الجزية، منها : **حمص**، و **حلب** ، و **دمشق**.

⇦ قام بالزحف نحو **بيت المقدس** لكن لم يستطع الوصول إليه.

⇦ ظهر جلياً الروح الصليبية في الحملات البيزنطية على العالم الإسلامي.

📝ثم خلفه الإمبراطور ((**باسيل الثاني**)): و في عهده استمرت السيادة على الشام ، ثم انشغل بعد ذلك في النزاعات في منطقة البلقان، و استعاد المسلمون أجزاء من الشام.

- و في نهاية عهدة : أصبحتت بلاد الشام الشمالية منقسمة بين البيزنطيين، و الفاطميين.

- فصار للبيزنطيين الغلبة على **أنطاكيا** و ما جاورها، على حين صار للفاطميين سائر بلاد الشام.

📝 ظهور السلاجقة:

- **السلاجقة**: هم قبائل تركية ، استوطنت منطقة أسيا الوسطى، و دخلت في الإسلام في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري.

– استطاعوا التوسع على حساب الغزنويين في منطقة حراسان ، ثم استولوا على مناطق واسعة في إيران و العراق و أسيا الصغرى.

– في القرن الخامس الهجري: ظهر السلاجقة كقوة إسلامية كان لها فضل في استبقاء الدولة الإسلامية، و ضخ دماء جديدة لدى المسلمين .

– وفى سنة ٤٤٧ هـ دخلوا **بغداد** ، ثم أخذوا يتوسعون في آسيا الصغرى ويعيدون ما احتله البيزنطيون ، و توغلوا في الأراضي البيزنطية.

❑ موقعة ملاذكرد:

– عام ٤٦٣ هـ استطاع الجيش السلجوقي، بقيادة: **ألب أرسلان**، هزيمة البيزنطيين بقيادة : **رومانوس الرابع**، هزيمة ساحقة في موقعة: ملاذكرد [انظر خريطة: ٣]، و التي اعتبرت نقطة تحول في التاريخ الإسلامي و البيزنطي على حد سواء.

– كان من نتائج هذه الموقعة:

١– الهزيمة الساحقة للجيش البيزنطي، حيث قتل منهم الآلاف ، و سقط منهم الآلاف في الأسر بما فيهم الأمبراطور **رومانوس الرابع** نفسه، حتى اعتبرت أكبر كارثة حلت بالإمبراطورية البيزنطية حتى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي.

٢– فقدت الإمبراطورية البيزنطية الجزء الأكبر من أراضيها في أسيا الصغرى.

٣- فقدت الإمبراطورية البيزنطية دورها التاريخي باعتبارها حامية حمى أوروبا النصرانية ضد المسلمين.

٤- كشفت المعركة عن ضعف الجيوش البيزنطية التي كانت تتكون في الغالب من مجموعة من المرتزقة.

٥- تمكن السلاجقة من بسط نفوذهم في أسيا الصغرى، بل و امتدت سيطرتهم لتشمل مناطق النفوذ البيزنطي في الشام، فاستولوا على : **أنطاكية**، و **دمشق** ، و **حلب** و غيرها.

٦- اتخذ الغرب الأوربي من تلك المعركة ذريعة للتدخل في الشرق الإسلامي بحجة : حماية المسيحية في الشرق، و حماية الحجاج المسيحيين الذين لم يعودوا آمنين كما زعموا.

- و هي مزاعم يكذبها الواقع التاريخي : حيث عقد الإمبراطور **ألكسيوس كومنين** معاهدة مع سلاجقة الروم ، بل و استعان بهم في القضاء على النورمان الذين حاولوا الاستقلال بمنطقة الأناضول، مما يبين مدى العلاقة بين الدولتين ،و كذب الادعاء الصليبي.

- و لقد أشارت **أنا كومنينا** صراحة إلى أطماع الصليبيين في المشرق بما فيها أطماعهم في ملك والدها.

و بالفعل : استغل البابا **جريجوري السابع** طلب الإمبراطور **ميخائيل السابع** أن يمده بجنود لمقاومة المسلمين، ليبدأ الدعوة إلى حرب مقدسة في الشرق، لكن الدعوة لم تنطلق بشكل جدي إلا على يد البابا **أوربان الثاني** بعد ذلك.

أحوال الشرق الإسلامي عشية الحروب الصليبية:

شهدت بلادُ الشام عشية الحروب الصليبية تشرذمًا سياسيًا ، وتشرذمًا مذهبيًا ، وتشرذمًا عرقيًا.

أما فيما يتصل بالتشرذم السياسي : فإن بلاد الشام كانت منقسمة بين عِدَّةِ دول إسلامية، مما سهل على الصليبين اجتياحه بعد ذلك :

١- **فمعظم الشام** : تحت حكم السلاجقة: و لكن قوتهم تشتت بعد الصراع بين الأخوين **رضوان** (صاحب **حلب**)، و **دقاق** (صاحب **دمشق**) ابني **تتش**، و الذي مزق وحدة البلاد و أضعف من قوتها.

٢- و **الفاطميون العبيديون** -الذين استولوا على مصر سنة ٣٥٨ هـ - انطلقوا منها إلى بلاد الشام، و استطاعوا أن يحكموا الساحل الشامي أي وقعت في أيديهم المدن الساحلية مثل: (**صُور – عكا – اللاذقية**) ، كما استولوا على **بيت المقدس** عام ٤٨٩هـ.

٣- **طرابلس** : كانت تحت حكم بنى عَمَّار (وهم شيعة أيضًا) .

٤- **حمص**: في يد زعيم يُسمى ((**جناح الدولة**)).

٥- **شيزر**: تحت حكم **بنى مُنقذ**.

التشرذم المذهبي: بالإضافة للتمزق السياسي، عانت المنطقة أيضاً من التمزق المذهبي ، حيث تشكلت التركيبة المذهبية كالآتي :

١- **المذهب السني**: و هو مذهب الأغلبية، و كان مذهب الحكام السلاجقة.

٢- **الفاطميون الشيعة الإسماعيليون**: الذين استولوا على مصر و الساحل الشامي، و حاولوا فرض مذهبهم بالقوة ، و دخلوا في صراع مع أهل البلاد من أهل السنة.

٣- **الحشيشية الباطنية**: انفصلوا عن الفاطميين، و كان لهم دور كبير في قتل المجاهدين ضد الصليبيين، و عرقلة جهود توحيد الشام بعد ذلك .

٤- **العلويون النصيريون** : الذين يؤلهون على بن أبي طالب.

٥- **الدروز** : الذين يؤلهون الحاكم بأمر الله .

- عملوا على تحدي السلطات، و نشر الفتن و الفوضي.

٦- **النصارى الموارنة** : ساعدوا الصليبيين .

٧- **نصارى الأرمن** : أقاموا لهم إمارة في شمال الشام، مهدت بعد ذلك لإقامة إمارة الرها الصليبية.

أما آسيا الصغرى :

فكان يحكمها : سلاجقة الروم.

وسُموا سلاجقة الروم : لأن دولتهم كانت في مكان الدولة الرومية التي قامت على حسابها ، وأيضًا لأنها تجاور الدولة الرومية .

- كانت تلك الدولة تحت حكم ((**سُليمان بن قَتَلمَش**)) الذي دخل في صراع مع تتش السلجوقي، وأدى إلى مقتل سُليمان سنة ٤٧٩ هـ.

- أدى هذا إلى:

١- ضعف دولة سلاجقة الروم، حيث لم يخلفه قائد قوي.

٢- الخلاف بين سلاجقة الروم و سلاجقة فارس و الشام، مما حال دون وجود وحدة بين القوى الأسلامية.

⇦ كل هذا صب في صالح الصليبيين الذين واجهوا كل فرع من السلاجقة على حدة مما سهل التغلب عليهم.

* * * * *

الدعوة للحروب الصليبية:

- رغم أن الحروب التي شنتها الدولة البيزنطية في القرن الرابع، و الحروب التي شنها الإسبان على المسلمين، أخذت طابعاً صليبياً، إلا أن مصطلح الحروب الصليبية لا يطلق إلا على الحروب التي شنها الأوربيون على البلاد الإسلامية في أواخر القرن الخامس الهجري.

- و سميت بالحروب الصليبية : لأن البابا ((**أوربان الثاني**)) لما دعا لها في مؤتمر **كليرمونت** ، قام الحضور بخياطة الصلبان على أكتافهم اليمنى ، كدلالة رمزية على أن المحاربين إنما يحاربون من أجل الصليب.

حجج الصليبيين لشن الحملات الصليبية:

- انتشرت في أوروبا الدعاية السيئة للإسلام و المسلمين، حيث وصفتهم :

١- أنهم كفار ، وثنيون، عباد للأصنام.

٢- زعموا أن المسلمين يدمرون كنائس النصارى، و أنهم على وشك هدم كنيسة القيامة.

٣- اضطهاد المسلمين للنصارى، و إجبارهم على التخلي عن دينهم و الدخول في الإسلام بالقوة.

- و هذا ما ولد مشاعر البغض و العداء و الرغبة في الانتقام لدى نصارى أوروبا.

⇦ و هذا يفسر أيضاً وحشية الصليبيين في التعامل مع المسلمين بعد ذلك.

الحج كرافد من روافد الحروب الصليبية:

- شعيرة الحج ليست من مبادئ المسيحية على العكس من الحج في الإسلام الذي يعد ركنًا من أركان الإسلام .

- وكان المسيحيون في القرنين الأول والثاني الميلادي مشغولين بتأليه السيد المسيح، و لم يهتموا بالصفة البشرية له.

- كما كانت المسيحية ديانة محدودة، و مضطهدة، فلم يهتم أتباع هذه الديانة بشأن زيارة الأراضي المقدسة.

- ثم تم الاعترف بالدين المسيحي دينًا رسميًا للإمبراطورية الرومانية إلى جانب الديانة الوثنية فى القرن الرابع الميلادي ،فى عهد الإمبراطور **قسطنطين**.

- فلما تحسنت أحوال المسيحين حن هؤلاء إلى زيارة الأراضي التي كانت مهد الديانة المسيحية، خاصة بعد الإعلان عن بعض الاكتشافات التي تخص تاريخ المسيحية:

⇦ فلقد تم الإعلان عن اكتشاف الكهف الذي ولد فيه **المسيح** عليه السلام (كما زعموا).

⇦ و أعلنت الإمبراطورة **هيلنا** أم الإمبراطور **قسطنطين** أنها اكتشفت خشبة الصليب (الذي يزعمونه)، ثم قيام ابنها ببناء كنيسة الصليب الأعظم ، أو كنيسة القيامة.

– فبدأت منذ القرن الرابع الميلادي رحلات فردية لزيارة هذه الأراضي المقدسة، و في نهاية هذا القرن قام القديس **جيروم** – أحد كبار الكنيسة الكاثولوكية – بزيارة الأراضي المقدسة، و اصطحب معه مجموعة من سيدات إيطاليا الموسرات، فكانت تلك الرحلة من العوامل المهمة التي حفزت رحلات الحج إلى الأراضي المقدسة .

– ثم كان ذروة نشاط الحج المسيحي في القرن الخامس الميلادي، و دليل ذلك:

١– هجرة الإمبراطورة **يودوكيا** زوجة الإمبراطور البيزنطي لحياة البلاط المترفة، و إقامتها في القدس في عزلة.

٢– كان هناك حوالي ٢٠٠ دير و نزل لاستقبال الحجاج حول القدس.

– و استمر الحال كذلك في القرن السادس.

–في القرن السابع الميلادي ظهر الإسلام : و مع اتساع الفتوحات الإسلامية توقفت رحلات الحج قليلاً، ثم ما لبثت أن عادت بعدما لمس النصارى سماحة الإسلام و المسلمين، و كان هناك عامل آخر: و هو ارتفاع تكاليف السفر بسبب نقص السفن، حيث انتقل الكثير من النشاط التجاري في البحر المتوسط إلى المسلمين.

– وفى القرن الثامن الميلادي: كانت رحلات الحج مزدهرة في بدايته، لكن بعد وفاة **شارلمان**، انقسمت إمبراطوريته، و ظهر النظام الإقطاعي في أوروبا ، كما ظهر النورمان على

الساحة، و هددوا طريق الحج ، و نتيجة للانشقاق بين الكنيسة الأوروبية والكنيسة البيزنطية، كان البيزنطيون يأخذون ضرائب على الحجاج المسيحيين وكانوا يتعنتون معهم ، فأدى كل هذا إلى تقليل الحج.

-في القرن العاشر: ازدهرت رحلات الحج بشكل كبير لعدة عوامل:

١- تحولت رحلات الحج من رحلات للحج العاطفي إلى رحلات للحج التكفيري: حيث أشاعت الكنيسة هذا المعتقد، للسيطرة على تلك الرحلات، و بالفعل أقبل الناس لأداء هذه الشعيرة التي يتكفر ذنوبهم.

٢- شاع الاعتقاد في هذا القرن أن نهاية العالم قد اقتربت، و أن القيامة ستقوم، حيث يظهر **المسيح** عليه السلام للمؤمنين به على رأس الألف سنة منذ ميلاده، فازدادت الرغبة في القيام برحلة الحج، بل و شاعت الرغبة كذلك لذي الكثيرين في البقاء في البقاع المقدسة حتى يوافيه الأجل.

٣- تم تأسيس **دير كلوني**: الذي اهتم بتنظيم و تسهيل رحلات الحج.

٤- بدأ الحج البري: بعدما كان الحج عن طريق البحر فقط، و ساعد هذا في ازدهار رحلات الحج، لرخص ثمنه مقارنة بالرحلات البحرية، كذلك بعده عن هجمات النورمان على قافلات البحر.

٥- تبرع أثرياء أوروبا لأجل تحسين طرق الحج: حيث تم إنشاء الكثير من دور الضيافة و المنازل في طريق الحجاج، مما سهل كثيراً على الحجاج.

- فى القرن ١١ م :حدث تطور في الحج المسيحي حيث أصبح الحجاجُ مسلحين، واستاءت بيزنطة كثيراً من هذا التطور الذي حدث للحجاج .

- واستمر المسلمون على حسن تعاملهم مع الحجاج ، كما يشهد بذلك كل المؤرخين الأوربيين، بل إن الحجاج المسيحيين كانوا يحاولون إثارة المشاكل عن طريق الإساءة إلى المسلمين، و استفزازهم معتقدين أنه كلما تعرضوا لمزيد من الأذى كانت رحلتهم أكثر نجاحاً، ومع ذلك كان يعاملهم المسلمين أحسن معاملة، لكن العجيب أن المسيحيين اشتكوا سوء معاملة المسلمين لهم ، و تعللوا بما حدث أيام **الحاكم بأمر الله** .

في عهد الحاكم بأمر الله :-

- خلال عشر سنوات فقط من فترة حكم **الحاكم بأمر الله** أساء فيها التعامل مع النصارى، و قام بهدم جزء من كنيسة القيامة.

- لكن في الواقع هو لم يقم بالإساءة إلى الحجاج فقط، لكنه أساء إلي المقيمين كذلك.

- كذلك لم تكن إساءته إلى النصارى فقط ، و لكن شملت كذلك اليهود، و المسلمين أنفسهم.

– و قال بعض الباحثين: أن هدم هذه الأجزاء من كنيسة القيامة جاء رداً على هدم ملك الروم لجامع **القسطنطينية**.

– كما أن إساءته لم تكن منصبة على كل النصارى، بل على طائفة **الملكانيين** (الروم الملكانيون:طائفة من الكاثوليك)، و السبب في ذلك: الحروب التي كانت بين المسلمين و الروم، و لأن والد الحاكم ، **العزيز بالله**، كان متزوجاً من امرأة من هذه الطائفة، فتم التمكين لهذه الطائفة و صارت مستبدة في البلاد.

– ثم بعد هذه السنوات العشر تغيرت المعاملة، و عادت الأمور لما كانت عليه من حسن المعاملة، بل وحماية هؤلاء الحجاج.

⇦ و إجملاً : لعبت حركة الحج دوراً أساسياً في التمهيد للحملات الصليبية.

– بل و يرى بعض الباحثين أن الحملات الصليبية ما هي إلا تطور للحج المسيحي، فبعد هذه الرحلات برزت فكرة أن الأراضي المقدسة لابد أن تكون بيد المسيحيين، و ليس ذلك لتذليل الصعاب ، و لكن لأن أوروبا شعرت بقوتها، و أنها تستطيع انتزاع هذه الأراضي من "الكفرة" الوثنيين !!.

و قد أدى هذا إلى بروز أهمية القيام بحملة حج مسلحة، و هي الحملة الصليبية، و هذا ما ذهب إليه الأستاذ الدكتور / **قاسم عبده**، و هو ما ذهب إليه أيضاً المؤرخ اليهودي: **يوشع براور**.

❐ الدعوة للحملات الصليبية:

- في عام ٤٨٨ هـ/١٠٩٥م اكتملت لدى البابا **أوربان الثاني** الزعامة على اوروبا الغربية كلها، لهذا حانت له الفرصة ليبدأ مشروعه الذي خطط له طويلاً: الحملات الصليبية، التي ستحقق له العديد من الأهداف و المكاسب:

١- فرض نفوذه على الكنيسة الشرقية.

٢- التوسع في الأراضي على حساب المسلمين، مع الحصول على ثروات المشرق.

٣- التخلص من النشاط الحربي للنورمان.

٤- التخلص من الصراعات بين الفرسان الإقطاعيين، و توجيه قواتهم نحو المشرق.

- عقد البابا مجمعًا دينيًا في إيطاليا في مدينه اسمها **بياكانزا** لمناقشة أمور دينية، و اجتمع لديه الكثير من القساوسة من أنحاء أوروبا، بالإضافة إلى الكثير من العلمانيين، مما يدل على حجم نفوذه.

- و في هذا المجمع عرض البابا طلب الإمبراطور البيزنطي **ألكسيوس كومنين**، بإرسال مساعدة من أوروبا، حيث طلب مجموعة من المرتزقة لتعاونه في حربه ضد المسلمين.

- كان هذا الطلب هو الحافز الذي أدى إلى اكتمال فكرة الحروب الصليبية لديه، لكنه لم يُصرح بهذا في مجمع **بياكانزا**.

- ثم انتقل من **إيطاليا** إلى **فرنسا** في السنة نفسها، ٤٨٨ هـ/١٠٩٥م ،وهو في ذهنه أن يشن الحرب الصليبية على المسلمين ، و عقد مجمعًا آخر في مدينة **كليرمونت** و دعا له القساوسة ورجال الدين والعلمانيين ، كما دعى البابا الأمراء الذين قد أسهموا في شن حملات على المسلمين في الأندلس، من أبرزهم ((**ريموند كونت تولوز**)).

- ناقش المجمع أمورًا أيضًا دينية، وفى الأسبوع الأخير تعرض لشن الحملة الصليبية على المسلمين .

- وتم الاتفاق على أن يكون شهر أغسطس في منتصف العام التالي (١٠٩٦م/ ٤٨٩ هـ) بداية لشن الحملة الصليبية على الشرق الإسلامي .

- ثم أخذ البابا يتنقل بين مدن فرنسا كلها من أجل الدعوة للحروب الصليبية، و لاقت حملته استجابة كبيرة من كل الطبقات.

حملة العامة أو حملة الشعوب أو حملة بطرس الناسك أو حملة الفلاحيين:

(لو جاء سؤال: نذكر دور البابا في جمع الحشود أولاً ،ثم نذكر الحملة)

- فى شهر إبريل ١٠٩٦ م/٤٨٩ هـ ، لم ينتظر العامة والدهماء من الفلاحيين والعبيد ، تحرك الحملة في منتصف أغسطس، وإنما اندفعوا بعاطفتهم و حماستهم، و استجابوا لدعوة **بطرس الناسك**، ومن أبرز قواد الحملة :-

والتر المفلس – فولكمار – جوتشوك .

- فخرج بطرس الناسك و معه ١٥ ألف صليبي ، كلهم من العامة ، و اصطحب بعضهم نسائهم و أطفالهم.

- وصل إلى مدينة **كولونيا** الألمانية، و دعا أهلها للخروج معه، لكنه لم يجد استجابة قوية، بل وسخر الألمان من هذا الجيش.

- تحرك الجيش من ألمانيا، ومرُّوا بالمجر في مدينة اسمها ساملين ، حيث وقع خلاف مع أهالي البلدة بسبب الحصول على التموين اللازم للجيش، فارتكب جيش بطرس مجزرة أودت بحياة ٤ آلاف نصراني، و هم الذين يزعمون حماية الصليب و النصرانية.

- وبعد هذه المجزرة هرعوا إلى الغابات هربًا من أهل **المجر** ،ووصل **بطرس الناسك** إلى حدود الإمبراطورية البيزنطية، التي انزعجت مما أحدثه الصليبيون في مدينة **ساملين** .

– فما كان من الإمبراطور البيزنطي إلا أن جعلهم يعبرون بسرعة من أراضي الدولة البيزنطية إلى آسيا الصغرى ، فوصلوا إلى **القسطنطينية**، و خلال رحلتهم أستمروا في السلب و النهب و التخريب ، و حتى العاصمة نفسها لم تسلم من أذاهم.

–من القواد الذين ألتفت حولهم الجموع أيضاً : و**التر** الشهير بالمفلس، و الذي خرج بأتباعه و انضم إليه الكثير من الألمان في الطريق.

– و عندما مروا **بالمجر**، قام ملك **المجر كولمان** بتقديم المؤن اللازمة حتى يتفادى ما حدث مع جموع **بطرس**.

– عبرت جموع **والتر المفلس المجر** و وصلت إلى **بلغاريا**، و هناك ارتكبوا الكثير من أعمال السلب و النهب التي دفعت البلغار إلى مهاجمتهم، و قتل الكثير منهم، فلاذوا بالفرار إلى الغابات، حتى وصلوا إلى القسطنطينية.

– ألتقت جموع **بطرس** و **والتر**، و توغلوا في أراضي السلاجقة.

– حققوا انتصاراً محدوداً على قوة من السلاجقة ، **مما** أطمعهم في الإغارة على **نيقية**، عاصمة السلاجقة، فزحفوا عليها في جيش كان قوامه ٢٥ ألفاً، و لكن باغتهم السلاجقة المدربون جيداً، فهزموهم و أعملوا فيهم التقتيل ، فلم ينجُ من هذا الجيش إلا ٣ آلاف فقط فروا إلى **القسطنطينية**. [انظر خريطة: ٥].

نتيجة حملة العامة :-

١) أنها كانت حملة فاشلة، فشلاً ذريعاً .

٢) أنها مَرَّغَت المثال الصليبي في الوحل .

٣) أثبت هذه الحملة تعجل الصليبيين وعدم صبرهم وهمجيتهم، كتجسيد لما كانوا يعيشونه في أوروبا ، ولذلك لم ينتظروا أن يخرجوا مع الجيش، و لا انتظروا الأسلحة والفرسان ليكون الجيش منظمًا ، فلم يصبر هؤلاء على ما وعدوهم به من مال و ثراء.

وهؤلاء مثال لأوروبا في ذلك الوقت ، و ما خرجوا إلا طامعين ناهمين إلى أراضي المسلمين و خيراتهم، فكانت حملتهم حملة فاشلة بكل المقاييس.

٤) ارتكب الصليبيون مجازراً رهيبة بحق اليهود، و هدموا معابدهم، و دنسوا كتبهم، و نهبوا ممتلكاتهم

* * * * *

الحملة الصليبية الأولى: (حملة الفرسان ، أو الأمراء، أو الحملة النظامية)

- التزم الأمراء الصليبيون بالموعد الذي حدده البابا للخروج، و خلال المدة من الدعوة حتى هذا الموعد أخذوا في إعداد العدة و دعوة سائر الإمراء، لضمان نجاح الحملة.

– كانت هذه الحملة تقوم بالأساس على الأمراء الإقطاعيين، و ظهر فيها أثر النظام الإقطاعي ، حيث لم تتوحد الجيوش تحت قيادة واحدة ، بل تألف من خمسة جيوش، لكل جيش منها أمير له قادته و أتباعه.

الجيش الأول :

– أول من استجاب لنداء البابا الكونت ((**هيو**)) كونت مقاطعة " **فرماندوا** " في فرنسا المعروف بالأصفر، شقيق ملك فرنسا **فليب الأول** الذي كان تحت قرار الحرمان فلم يستطع المشاركة في هذه الحملة.

– ضم هذا الجيش المحاربين التابعين لملك **فرنسا**.

– ارتحل أولاً إلى **إيطاليا** ، حيث قابل البابا، و اقسم له بالولاء، و أن أي أرض يحصل عليها ستكون تابعة للبابا.

– وكان جيشه أول الجيوش الواصلة الى الأراضي البيزنطية، و لم يكن لهذا القائد أي دور مهم في الحملة.

الجيش الثاني : بقيادة الكونت ((**جودفري**)) كونت مقاطعة **بويون** ، واخوه ((**بلدوين**)).

– هذا الجيش كان أكبر الجيوش الصليبية، و ضم فرساناً من شمال فرنسا ومن ألمانيا .

- وهذا الكونت كانت له مكانته ، حيث ينحدر من جهة أمه إلى **شارلمان** ، وقد أسس إمارة **بيت المقدس**.

- و أسس أخوه **بلدوين** أول إمارة في الشرق الاسلامي، وهي إمارة **الرها**، وحكمها لمدة أربعة سنوات ، وانتقل منها ليحكم مملكة **بيت المقدس** الصليبية.

- لم يسلك هذا الجيش الطريق المتفق عليه، و الذي يمر عبر إيطاليا، نظراً لأن **جودفري** كان من أنصار إمبراطور ألمانيا، الذي كان على خلاف مع البابا، لكنه سلك طريق مملكة **المجر**.

- لم يسمح ملك **المجر** بعبور الجيش إلا بعدما أخذ الضمانات الكافية حتى لا تتعرض مملكته لما حدث لها في الحملة السابق.

- وصلت الحملة إلى **القسطنطينية**، و حاول الإمبراطور **ألكسيوس** أن يأخذ الولاء من **جودفري** ، لكنه رفض لأنه أقسم الولاء لإمبراطور **ألمانيا**.

- و حدثت عدة مناوشات بين الجانبين، انتهت بعقد اتفاقية أن يسلموا لإمبراطور بيزنطة كل الأراضي التي خسرتها الإمبراطورية بعد معركة **ملاذكرد**.

- لكن الصليبيين نقضوا عهودهم بعد ذلك مما تسبب في مشاكل طويلة بين الجانبين طوال القرن الثاني عشر الميلادي.

الجيش الثالث :

- بقيادة ((**بوهيموند النورماني**))، و صحبه ابن اخته **تانكرد**، و كان من أصغر الجيوش المشاركة، لكنه أقواها و أخطرها، حيث تشكل من المحاربين النورمان الأشداء، ذوي العتاد و التدريب الجيد.

- خرج هذا الجيش من جنوب **إيطاليا**، حتى وصل إلى **القسطنطينية**.

- و كان الإمبراطور **أليكسيوس** يخاف من **بوهيموند** بشدة، نظراً لما حدث قبل ذلك من المواجهات بين الإمبراطورية البيزنطية و النورمان وصلت إلى حد تهديدهم للقسطنطينية نفسها قبل ذلك.

- لكن **بوهيموند** لم يكن له أطماع في الإمبراطورية البيزنطية، إنما كان هدفه أراضي السلاجقة في أسيا الوسطى، و كان هدفه إقامة إمارة في **إنطاكية**، لهذا أقسم على الولاء للإمبراطور.

- صاحب هذا الجيش: المؤلف المجهول صاحب (**أعمال الفرنجة و حجاج بيت المقدس**).

الجيش الرابع :

- بقيادة ((**ريموند الرابع كونت تولوز**)) [و المعروف في المصادر العربية بـ: الصنجيلي نسبة إلى مقاطعة Saint Gilles]، الذي شارك في الحملات الصليبية ضد المسلمين في الأندلس (و لهذا كان ذاك الجيش أكثر الجيوش تعصبًا ضد المسلمين)، فاعتبر نفسه أنه صاحب الحق في قيادة هذه الحملة، لكن الكنيسة كانت حريصة على إخضاع هذه الحملات للقيادة الروحية، لهذا عين البابا نائباً له ، و هو **أدهيمر**،رافق حملة **ريموند**.

- تكون من فرسان جنوب **فرنسا** ، و سارت في طريقها من فرنسا إلى شمال **إيطاليا**، ثم **القسطنطينية**.

- رافق هذه الحملة: **ريموناجيل** ، صاحب: (**تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس**).

الجيش الخامس:

- بقيادة الكونت ((**روبرت دوق نورماندي**)) وتولى قيادة الفرسان القادمين من غرب **فرنسا**، بالإضافة إلى الفرسان الإنجليز، من اتباع ملك **إنجلترا** في ذلك الوقت ((**وليم روفوس**)) (و الذي كان أخاً **لروبرت**).

- مرت هذه الحملة **بإيطاليا** أولاً، و بعد مباركة البابا لها عبرت إلى **البلقان** ومنها إلى **القسطنطينية**.

- كان في هذا الجيش المؤرخ **فوشيه** صاحب كتاب (أعمال الفرنجة الحاجين إلى بيت المقدس)، فقد كان يكتب كل شيء متصل بهذا الجيش .

مسيرة الحملة الصليبية الأولى :

- بوصول هذه جيوش الصليبية **القسطنطينية**، انتهت المرحلة الأولى من الحملة، ثم عبرت هذه الجيوش إلى أسيا الصغرى.

- ومنها توجهت الى عاصمة دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى "**نيقيه** " وكان صاحبها ((**قلج أرسلان**)) في صراع مع إمارة " **آل دانشمند** " أو " **الدانشمنديين** " [وهي إمارة اسلامية تركمانية في آسيا الصغرى] ، عندما وصلت القوات الصليبية إلى عاصمة مملكته **نيقيه** في ٤٩٠ هـ وحاصرت هذه العاصمة.

- لم يستطع السلاجقة الدفاع عن المدينة المحاصرة، و كان لطبيعة سكان المدينة دور في ذلك، فلقد كان أكثرهم من النصارى، و تم تسليمها للصليبيين.

- سلم الصليبيون المدينة بدورهم للإمبراطور البيزنطي وفقاً للاتفاق المبرم بينهم، لكن رغم هذا كان النصر مهماً لهم: فلقد رفع من روحهم المعنوية، كذلك لم يكونوا ليستطيعوا التوغل في أسيا الصغرى دون الاستيلاء على هذه المدينة.

معركة دوريليوم ٤٩٠ هـ:

- قسم الصليبيون جيشهم قسمين حتى يسهل حركته ، و يسهل تموينه.

- حشد **قلج أرسلان** قواته، بعدما تصالح مع الدانشمنديين، و ألتقى بالجيش الأول عند **دوريليوم** ، و كاد المسلمون أن يقضوا على هذا الجيش لولا أن لحقه الجيش الثاني، و انتصر الصليبيون على السلاجقة.

- نتيجة المعركة:

١- انكسرت شوكة السلاجقة، فلم يعد لهم المهابة و لا النفوذ في أسيا الصغرى.

٢- انفتحت أسيا أمام الصليبيين.

٣- استولى الصليبيون على جميع الأجزاء الغربية من الأناضول، و تم تسليمها للإمبراطور البيزنطي.

- زحف الجيش الصليبي بعد ذلك نحو **قونية** ، التي اتخذها **قلج أرسلان** عاصمة له بعد سقوط نيقية، و استولوا عليها، ثم استولوا على **هرقلة**.

- و ساعد النصارى الأرمن الصليبيين في زحفهم ، و أكد عدد من مؤرخي الحملات الصليبية على الدور الكبير الذي لعبه نصارى الشرق لإنجاح الحملة الصليبية الأولى، سواء من الناحية المادية أو المعنوية أو الإرشادية.

- انقسم الجيش بعد ذلك إلى قسمين:

١- قسم بقيادة **بلدوين**: و اتجه شرقا.

٢- قسم بقيادة **بوهيموند**: و اتجه جنوباً.

تأسيس إمارة الرها:

- **المؤسس** : **بلدوين** ٤٩١ هـ.

- قاد **بلدوين** الجزء الأصغر من الجيش و صحبه **تانكرد**، و اتجه صوب **قيليقية** و استولى عليها، ثم تابع زحفه حتى وصل إلى **الرها**، و استطاع الاستيلاء عليها ، و استطاع تأسيس أول إمارة صليبية مستقلة ، عام ٤٩١هـ.[انظر خريطة: ٧].

- لعب النصارى الأرمن دوراً محورياً في استيلاء الصليبيين على هذه المناطق، و رحبوا بالصليبيين، لكن خاب رجاؤهم بعد ذلك، حيث أساء **بلدوين** معاملتهم، و فضل الصليبيين عليهم، بل و اضطهدهم كذلك.

- كان **للرها** أهمية خاصة عند النصارى، فهي تعتبر من المدن المهمة في التاريخ المسيحي: فكانت تلك المدينة تسمى **بالرها** المقدسة لمكانتها عند المسيحيين حيث ورد إليهم أن مراسلات تمت بين المسيح عليه السلام وبين أمير **الرها** ، وورد أن **الرها** أسهمت فى ترجمة الإنجيل ، وورد إليهم أيضًا أن بعض الحواريين مدفون بها.

- بالإضافة للأهمية الاستراتيجية للمدينة: فموقعها يمثل خط دفاع للصليبيين في الشام ضد أي هجوم من جهة الشرق، بالإضافة إلى موقع **قيليقية** الذي مثل حائلاً بين سلاجقة الشام و سلاجقة الروم.

- **تحريرها**: كانت تلك الإمارة هي أول الإمارات إنشاءً، و كذلك أول الإمارات سقوطاً، حيث حررها **عماد الدين زنكي** ٥٣٩ هـ ، و أعاد نور **الدين محمود** فتحها عام ٥٤١ هـ.

تأسيس إمارة أنطاكية :

- **المؤسس** : **بوهيموند** ٤٩١ هـ.

- انطلق القسم الثاني من الجيش، و هو الجزء الأكبر، جنوباً صوب **أنطاكية**، بقيادة **بوهيموند** ، و **جودفري**، و **ريموند**.

- كان لهذه المدينة أهمية كبيرة عند النصارى: لأنهم اتخذوا بها لأول مرة اسم المسيحيين، و أقام بها القديس **بطرس** أول أسقفية له.

- كانت **أنطاكية** تتمتع بموقع مهم ، و محصنة جيداً بصورة طبيعية بالجبال، و بأسوار عالية و مجموعة من البروج و الحصون مما جعلها مدينة منيعة.

- و كان يحكمها تركماني يسمى : **ياغي سيان** وكان كفئاً ، استنجد عند وصول الصليبين إلى **أنطاكية** بأمراء و ملوك المنطقة، و كذلك بالخليفة العباسي.

– خاف **ياغي سيان** من خيانة النصاري **بأنطاكية** فتحايل على إخرجهم : حيث أمر بحفر خندق حول المدينة، و أخرج المسلمين في يوم ليحفروا وحدهم، ثم أمر النصارى فخرجوا في اليوم التالي وحدهم، و لما أنهوا عملهم و أرادوا الدخول منعهم، و تحفظ على النساء و الأطفال في رعايته، و أخبرهم أن هذا إجراء مؤقت حتى يزول خطر الصليبيين.

– و رغم اختلاف المصادر التاريخية حول دور النصارى في سقوط **أنطاكية**، ألا أنه مما لاشك فيه أن من أسباب نجاح الصليبيين عند **أنطاكية** هو أن الكثير من سكان المنطقة كانوا من النصارى.

– استمر حصار الجيش الصليبي **لأنطاكية** مدة تسعة أشهر ، نفذ ما معه من مؤن وطعام فأرسل إليهم بعض السفن المحملة بالطعام، فنفذت هذه المؤن أيضاً فمات الكثير من الصليبيين والحمير والخيول التي يركبوها.

– كان بإمكان **أنطاكية** أن تنتظر أكثر واكثر بسبب الظروف السيئة التي كان عليها الصليبيين وأدرك الصليبيون صعوبة اقتحام **أنطاكية**.

–فلجأ الصليبيون إلى سلاح الخيانة:حيث كاتب **بوهيموند** رجلاً يسمى **فيروز** كان أرمينياً وأظهر الاسلام شكلياً، وكان يحمى جزءً من سور **أنطاكية**، فراسله واتفق معه على أن يسهل تسلق الصليبيين لأسوار المدينة، وقام من تبقى من النصارى بفتح أبواب المدينة، وسقطت أنطاكية بهذه الخيانة، لكن بقيت قلعتها منيعة، صمدت أمام الصليبيين.

– قام الصليبيون كعادتهم بارتكاب المجازر البشعة، فذبحوا الآلاف من المسلمين.

– وفوجئ الصليبيون بجيوش المسلمين التي أتت لنجدة أنطاكية، بقيادة: **كربوقا** أمير الموصل، و**جناح الدولة** أمير حمص، و **طغكين** أتابك دمشق، فقامت هذه الجيوش بحصار الصليبين داخل أنطاكية، فصار الصليبيون محاصرين بين قوتين إسلاميتين.

– اشتد الحصار على الصليبيين و ساءت أحوالهم، حتى طلبوا الخروج من أنطاكية والعودة إلى بلادهم.

– ولكن **كربوقا** قال: لن تخرجو الا بالسيف، ثم استعلى وتكبر على الأمراء، فحدث نزاع بين الأمراء، وتمنوا الهلكة لهذا الرجل المتكبر، والصليبيون كانوا في يأس تام .

– ثم حدثت حادثة تذكرها كل المصادر الأوروبية والعربية: أن قسيساً يسمى **بطرس**، قام بدفن حربته بكنيسة **بطرس** بانطاكية، ثم خرج على الصليبين و زعم أن قديساً أتاه ثلاثة مرات في المنام، و ذكر له أن الحربة التي يزعمون ان المسيح قتل بها مدفونة في كنيسة **بطرس**، و قال إنكم إن وجدتموها انتصرتم على الكفرة من المسلمين وطلب بعض الفرسان و توجهوا إلى الكنيسة، وحفروا و وجدوا الحربة، وهذه الحربة كان لها مفعول السحر، فبعدما كان الصليبيون في حالة نفسية سيئة، أعطتهم دفعة معنوية كبيرة، وأصبحوا في روح معنوية عالية، وخرجوا وهم بهذه الروح وانتصروا على الجيوش الاسلامية ، التي مزقتها الخلافات، وبذلك سقطت **أنطاكية** وقامت الإمارة الصليبية الثانية في أنطاكية، في يونية ١٠٩٨ م /٤٩١هـ.

- و تولى **بوهيموند** الإمارة بعدما سوى الخلافات بينه و بين **ريموند**.

- تحريرها: حررها السلطان المملوكي **الظاهر بيبرس** ٦٦٦ هـ.

- موقف الفاطميين من الحملة الصليبية الأولى:

س: لماذا اخترنا ذلك الموضوع في وسط الحديث عن إنشاء الإمارات الصليبية الأربعة في بلاد الشام ؟

ج: لأنه كان للفاطميين في ذلك الوقت موقف – ظهر عند حصار الصليبين لأنطاكية – اضطر الباحثون لتناوله .

كان من الطبيعي حين توجه الصليبيون لمصر أن يحاربوهم دفاعًا عن ممتلكاتهم ، لكن قبل أن يتوجهوا إلى مصر ما هو موقف الفاطميين منهم ؟

ج : ذكر المؤرخون المعاصرون للأحداث (**ريموندا جيل** و **وليم الصوري**) أنه عندما حاصر الصليبيون **أنطاكية** وردت سفارة من الفاطميين ، و وعدت الصليبيين بالصداقة و المودة.

- **ابن الأثير** فى كتابه الكامل و**السيوطي** في كتابه تاريخ الخلفاء : ذكرا رواية : أن الفاطميين لما خافوا من قوة السلاجقة في الشام، شجعوا الصليبيين على احتلال الساحل الشامي، ليكونوا حاجزاً بينهم و بين السلاجقة.

- موقف الباحثين المعاصرين من تلك السفارة :

- أخذ بذلك الخبر الكثير من الباحثين المعاصرين ، فصدقوا خبر السفارة ، منهم: **رنسيمان، و د/ حسين مؤنس**، و **د/ حسن حبشي**.

- لكن هناك من أنكر هذه السفارة ، منهم **د/ حسين عطية**، و**د/ عبد المنعم ماجد**، و حجتهم في ذلك:

١- أن هذه السفارة لم ترد تاريخياً في مصادرنا الإسلامية وأنها ذكرت في المصادر الغربية فقط.

٢- **ابن الأثير** متأخر، و لا يمكن الاعتماد على روايته.

٣- و على فرض وجود تلك السفارات فلعلها بين الفاطميين و الروم، و كانت المعاهدات و الاتفاقيات مألوفة بينهم.

لكن هذا الدفاع لا يجدي، و ما ذكروه يسهل الرد عليه:

١- فالرواية التي ذكرت وردت على لسان مؤلفين هم شهود عيان للحملة.

٢- القول بأن **ابن الأثير** متأخر، يجاب عنها: بأنه مؤرخ كبير يعتمد على كتب ضاعت وعلى روايات شفوية ممن عاصروا الصليبيين، و هذا يكسب أقوالة قوة علمية كبيرة.

٣- أنكر المؤرخ المصري **بن تغرى بردى** في كتابه **النجوم الزاهرة** على الدولة الفاطمية عدم إرسال جيوش لمقاتلة الصليبين مع القدرة المادية والسلاح والرجال، ونتعجب من هذا التخاذل الذي يؤكد موقف السفارة (وهذا هو رأي **د/ يسري زيدان**) .

٤- ما قام به **الأفضل** من استغلاله لانشغال السلاجقة بمحاربة الصليبيين، فاستولى على **بيت المقدس** يدل على مدى انتهازية الفاطميين و جشعهم، و أنه ما كانت تحركهم إلا المصالح.

و ما حدث بعد ذلك من مواجهة مع الصليبيين كان للدفاع عن ممتلكاتهم ليس أكثر.

إنشاء مملكة بيت المقدس الصليبية :

- **المؤسس: جودفيري** ٤٩٢ هـ.

زحف الصليبيون نحو **بيت المقدس**، و استولوا في طريقهم على عدد من القلاع و المدن.

- اهتم الباحثون برصد موقف الأمراء العرب المتخاذل على النقيض من موقف السلاجقة الذين قرروا الجهاد ضد الغزاة الصليبيين، فلقد ادركوا مدى ضعفهم و تشتتهم، في مقابل القوة الكبيرة للصليبيين، لهذا كان جل اهتمامهم هو انقاذ ممتلكاتهم، فقدم هؤلاء الأمراء المساعدات للصليبيين في مقابل عدم التعرض لهم.

- شرع الصليبيون في حصار **بيت المقدس** [١٣ / رجب / ٤٩٢ هـ والتي توافق ٧ / يونيو / ١٠٩٩ م]واستمر حصارهم للقدس شهراً كاملا ، وكان بالإمكان أن تصبر القدس أكثر من ذلك نظراً لمناعة أسوارها، و كفاءة التدابير التي اتخذها الوالي الفاطمي **افتخار الدولة**، لولا **البنادقة** و**الجنويون** الذين قاموا بإمداد الصليبين بالخشب والمسامير والحبال وكل ما يلزم لتسلق أسوار المدينة، و استطاعوا بالفعل اقتحامها و الاستيلاء عليها .

- قام الصليبيون في القدس بارتكاب مذبحة هائلة تتراوح المصادر في تقدير عددها بين ٨٠ ، ١٠٠ ألف ، وأبقوا على بعض من الناس ليحملوا الجثث التي وصلت من تراكمها الى أسطح المنازل ، إلى المقابر ، وانتشر وباء بعد ذلك من نتن الرائحة.

- توج **جودفيري** كأمير على **بيت المقدس** لمدة عامين: ٤٩٢ – ٤٩٤ هـ.

- ثم تم تتويج **بلدوين** كأول ملك على **مملكة بيت المقدس**(لاحظ: **بلدوين** هو أخو **جودفيري** و كان أميراً **للرها**).

- الحق الصليبيون بعد ذلك بالفاطميين هزيمة نكراء في **عسقلان**، كسرت هيبتهم، كما كسرت هيبة السلاجقة في **دوريليوم**، و لم يستطع الفاطميون بعد ذلك التدخل في الشام، و أصبح الصليبيون مطلقي اليد بلا أي منازع.

- **تحريرها:** سقطت مملكة **بيت المقدس** على يد الناصر **صلاح الدين الأيوبي،** بعد انتصاره الحاسم على الصليبيين في موقعة **حطين** ٥٨٣ هـ ، و أسفرت هذه الموقعة عن فتح **بيت المقدس،** و **عكا،** و **حيفا،** و **بيروت** و غيرها، و تحطم جيش الصليبيين، و أسر معظم القادة الصليبيين.

إنشاء إمارة طرابلس :

- **المؤسس: برتراند:** ٥٠٢ هـ.

تعد إمارة **طرابلس** آخر الإمارات الصليبية تأسيساً، و هي آخر الإمارات الصليبية سقوطاً أيضاً.

- كانت **طرابلس** تحت الفاطميين واستقل بها **بنو عمار** (شيعة).

- ولما قدم الصليبيون قام صاحب **طرابلس فخر الدين** بمهادنة الصليبيين ، و أمدهم بالمؤن في طريقهم **لبيت المقدس** ، كما إنه لم يقاومهم لما حاصروا مدينة **عرقة** من ممتلكاته، و ذلك في مقابل الحفاظ على إمارته.

- لكن بعد أن فرغ الصليبيون من **بيت المقدس** ، توجهوا لحصار **طرابلس،** و امتد هذا الحصار لمدة ست سنوات.

- قاد الجيوش الصليبية: **ريموند الصنجيلي**، و استولى على عدة مدن قبل أن يشرع في حصار **طرابلس**، حيث استولى أولاً على **أنطرسوس** ٤٩٥ هـ و اتخذها قاعدة لعملياته العسكرية.

- ثم استولى على مدينة جبلة ٤٩٩ هـ بمساعدة الجنويين.

- ثم بنى حصناً في مواجهة **طرابلس** مباشرة عرف باسم: قلعة صانجيل.

- قام **ابن عمار** بحرق هذا الحصن، و أصيب **ريموند** بجراح من جراء سقوط بعض أجزاء الحصن عليه، وهلك بعد ذلك، و خلفه ابنه **برتراند**.

- لما اشتد الحصار خرج أمير **طرابلس** الى الخليفة العباسى يستنجد به ، فاستغل ذلك الخليفة الفاطمي ودخلها في غيابه ، و بدلاً من أن يدعمها ضد الصليبيين بالعتاد أوهن قوتها، و حاول الفاطميون إمداد المدينة بإسطول لحمايتها و تزويدها بالمؤن، لكنه وصل متأخرًا كعادتهم، و سقطت المدينة عام ١١٠٩ م/٥٠٢ هـ.

- في تلك المدينة التي كانت من أعظم بلاد الإسلام و أكثرها ثروة، قام الصليبيون كعادتهم بالقتل و السلب و النهب و زادوا على ذلك أحرق كل المصاحف والمكتبات التي كانت تحوي نفائس الكتب (ذكرت ذلك المصادر الأوروبية و ابن الأثير أيضاً) .

- تحريرها: كانت طرابلس آخر الإمارات إنشاءً و كذلك آخرها سقوطاً، حيث حررها السلطان المملوكي: المنصور **قلاوون** ٦٨٨ هـ.

- قام الصليبيون بعد ذلك بالاستيلاء على **بيروت**، و **صيدا**، فخضع لهم الساحل الشامي كله، ثم اتبعوا ذلك بالاستيلاء على **عسقلان** التي هي بوابة **مصر** الشرقية، فصارت **مصر** مهددة بالخطر الصليبي، و قام بالفعل **بلدوين**، ملك مملكة **بيت المقدس** بغزو **مصر** عام ١١١٨ م/٥١١ هـ ، و دخل **الفرما**، لكنه هلك ،و لم تكتمل حملته.

بدايات الجهاد ضد الصليبيين، و بوادر توحيد القوى الإسلامي:

[جهاد المسلمين للصليبين قبل توحد الموصل وحلب ٥١١هـ، وقبل ظهور عماد الدين زنكي ٥٢١هـ]

- مرت حروب التحرير بأربع مراحل، ارتبطت كل منها باسم مدينة، تحملت عبء المسؤولية لقيادة الجهاد ضد الغزاة.

- هذه المراحل هي :

١- مرحلة الموصل.

٢- مرحلة حلب.

٣- مرحلة دمشق .

٤- مرحلة القاهرة.

بداية الجهاد ضد الصليبين من الموصل :

- انطلق الجهاد ضد الصليبيين من منطقة **الجزيرة**، التي تضم **الموصل** و غيرها، و من هذه المنطقة انطلقت الدعوة للوحدة ، و منها بدأت الوحدة.

مميزات الجزيرة الفراتية :

١- أنها تشرف على بلاد الشام، و العراق، و تمثل ثغراً مهما، سمي بالثغور الجزرية، و التي هي امتداد للثغور الشامية.

٢- مدنها تتمتع بتحصينات هامة: سواء من الناحية الطبيعية، أو الحصون المنيعة.

٣- تتمتع بموارد اقتصادية قوية: زراعية و صناعية، كما أنها تشرف على الطرق التجارية.

و **الموصل**: كانت مهددة بالخطر الصليبي، لمجاورتها للرها، و كونها مفتاح العراق و الشام معاً ، لأجل هذا حملت راية الجهاد مبكراً ضد الصليبيين.

و قبل الحديث عن الدور الجهادي المهم للموصل لابد من ذكر القادة الآخرين الذين ساهموا في الجهاد في الفترة:

١- دور جناح الدولة صاحب حمص في جهاد الصليبين :

- اشترك ١٠٩٦م/ ٤٩٠ هـ مع **كربوقا** أمير **الموصل** في جهاد الصليبين عند **أنطاكية**، قبل استيلائهم عليها.

- اشترك مع صاحب دمشق في قتال أمير **الرها** : **بلدوين** عام ١١٠٠م/٤٩٤ هـ، و هو في طريقه **لبيت المقدس**.

- اسهم عام ١١٠١م/٤٩٥ هـ في إغاثة **طرابلس**.

- و في السنة نفسها دافع عن حصن الأكراد.

- لكن كان للباطنية الاسماعيلية دور في اغتيال كل مجاهد للصليبين، ولذا اغتالوا جناح الدولة أمير حمص وهو يصلي الجمعة، عام ١١٠٢ م/ ٤٩٦ هـ .

٢- دور الدانشمنديين :

- عام ١٠٩٩ م/ ٤٩٣ هـ: حاول **بوهيموند** توسيع إمارة **أنطاكية**، فقام بالإغارة على **حلب**، و قام بحصارها.

- فقام **آل دانشمند** بإرسال جيش لنجدة **حلب** و أهلها، رغم بعدهم عن **حلب** جدًا، وحتى يرفع الصليبيون الحصار عن حلب قام **الدانشمنديون** بمهاجمة **ملطية** الصليبية حتى ينشغل بها الصليبيون، وقد حدث ذلك فقد رجع الصليبيون للدفاع عن **ملطية** ودارت بينهم وبين **الدانشمنديين** معركة، واستطاع **الدانشمنديون** هزيمة الصليبيين، وأسر **بوهيموند** نفسه.

- و اعتبر هذا الأسر حدثاً عظيماً لمكانة **بوهيموند** عند الصليبيين، و كذلك لما أحدثه من خسائر في جانب المسلمين، فكان أسره غنيمة كبيرة.

- تم استدعاء ابن اخته: **تانكرد** ليخلفه على إمارة أنطاكية.

- مكث **بوهيموند** في الأسر ٤ سنوات.

- جرت محاولة من قبل **بلدوين** أمير **الرها** في ذلك الوقت لفك أسره لكنها باءت بالفشل.

- و انتصر ايضاً **الدانشمنديون** على حملة صليبية ١١٠١م/ ٤٩٥ هـ، كانت متوجهة الى بيت المقدس قادمة من القسطنطينة، وعرجت على **آل دانشمند** في محاولة لفك أسر **بوهيموند** لكنهم لقوا هزيمة منكرة.

٣- معركة حران ١١٠٣م/٤٩٧هـ (أو البليخ):

- **حران** تقع في الجزيرة الفراتية جنوب **الرها** مباشرة، و تقه بجوار نهر **البليخ**.

-في هذا المكان التقى جيش المسلمين بقيادة: **سقمان بن أرتق** (أمير ماردين) و **جكرمش** (أتابك الموصل)، بجيش الصليبيين بقيادة: **بلدوين الثاني** (أمير الرها في ذلك الوقت) و **بوهيموند** (أمير أنطاكية، بعد إطلاق سراحه) و **جوسلين** (حاكم تل باشر).

- أوقع المسلمون هزيمة كبيرة بالصليبيين ، فقتلوا منهم الكثير، و أسروا **بلدوين** و **جوسلين** و كبير أساقفة الرها.

– مثلت هذه المعركة أول صورة بارزة من صور المقاومة الإسلامية ضد الصليبيين، و كان من نتائجها:

١) تهديد إمارة الرها تهديداً مباشراً.

٢) قطع أطماع إمارة الرها في التوسع، خاصة مسألة الاستيلاء على حلب.

٣) قطع أطماع الصليبيين في التوسع شرقاً في أراضي العراق.

٤) فشل خطة الصليبيين في عزل المسلمين في الأناضول، و العراق ، و الشام عن بعضهم، و هذا ما سعوا إليه بمحاولتهم للاستيلاء على حلب.

٥) ظهر حقيقة موقف الأرمن من الصليبيين ، فبعد تأييدهم الأول لهم و مساعدتهم على حساب المسلمين، انقلبوا عليهم بعدما رأوا منهم الظلم ، و الاضطهاد.

٦) قضت هذه المعركة على أسطورة الصليبيين الذين لا يقهرون، و ظهر سر قوتهم، ألا و هو انقسام المسلمين و تفتت قواهم.

٧) تولى **تانكرد** قيادة الإمارات الصليبية الشمالية بعد سقوط **بلدوين** و **جوسلين** في الأسر، و رحيل **بوهيموند** إلى أوروبا .

٨) فتحت الطريق لظهور قيادات و أحلاف إسلامية، وجهت الضربات المتتالية للصليبيين.

أسلاف عماد الدين زنكي و الجهاد:

جهاد أمير الموصل :

- في عام ١١٠٩ م/٥٠٣ هـ، عهد السلطان السلجوقي **محمد بن ملكشاه** إلى **شرف الدين مودود** بولاية **الموصل**، وهو من أعظم أمراء المسلمين في تلك الفترة، باعتراف المصادر العربية والصليبية.

- و لأنه كان بعيد النظر فكر في مهاجمة **الرها** :

١- لقربها من السلطة السلجوقية، و موقعها المسيطر على الطرق المؤدية إلى الحلب و الموصل.

٢- و لأنه أدرك مدى ضعف تلك الإمارة الصليبية، لعدم تجانس سكانها (فهم خليط من المسيحيين الشرقيين: الأرمن والسريان، و الصليبيين الغربيين، بالإضافة إلى البيزنطين والمسلمين) .

٣- كما أن هذه المدينة لم تكن محصنة تحصينات طبيعية فلا تحدها لا جبال ولا سهول .

- لذا بدأ أمير الموصل بمهاجمة **الرها** وحصارها سنة ١١٠٩م/٥٠٣ هـ ، [انظر خريطة: ٨]حيث خرج في قوة كبيرة، ساعده فيها: الأمير **إلغازي بن أرتق** (أمير ماردين)، الأمير

سكمان القطبي (أمير أرمينية)، الأمير **طغتكين** (أتابك دمشق)، الأمير **أحمدين** (أمير مراغة) و غيرهم، حيث تم تشكيل تحالف إسلامي قوي.

- استنجد صاحب الرها **بلدوين الثاني**، بملك مملكة بيت المقدس **بلدوين الأول** (والذي كان أميرا للرها ممن قبل)، فخرج في جيش للدفاع عن **الرها** و صحبه فيه : أمير طرابلس **برتراند**، و أمير أنطاكية **تانكرد**.

- فلما علم المسلمون بقدوم الصليبيين قاموا بفك الحصار، و خططوا للقاء الصليبيين في مكان مفتوح شرق الفرات، لهذا نزلوا **حران**، و انتظروا الصليبيين.

- لكن أحس الصليبيون بالخدعة، فقرروا الانسحاب من منطقة شرق الفرات، فهجم عليهم المسلمون و حاصروهم، و أعملوا فيهم القتل، و الأسر ، و غرق منهم الكثير.

- ثم عادت الجيوش لحصار **الرها**، لكن أدرك المسلمون صعوبة اقتحامها، فتركوها و عادوا لبلادهم.

- و بعد رحيل قوات المسلمين، قام الصليبيون بمهاجمة **حلب**، فهب **مودود** لنجدتها، و عاونه في ذلك **طغتكين** ، و استطاعوا صد الهجوم الصليبي.

- و قدوم **مودود** لنجدة **حلب** تعتبر نقطة تحول مهمة في الجهاد ضد الصليبيين، حيث تطلع **مودود** بعد ذلك في تركيز الجهاد في منطقة الشام، و القيام بعزل إمارة **الرها** عن سائر الإمارات الصليبية.

- كما انعقد تحالف بينه و بين أتابك **دمشق** على الجهاد، و انضم إليهما أمير **شيزر**، و هكذا ظهرت أول بادرة للاتحاد بين أمراء المسلمين منذ قدوم الصليبيين.

- في سنة ١١١٣ م/ ٥٠٧ هـ، هاجم أمير **الموصل** بمعاونة الأمير **طغتكين** مملكة **بيت المقدس** الصليبية، بسبب هجومها المتواصل على دمشق، والتقى بجيش الصليبيين بقيادة ملك **بيت المقدس** ، و أمير **أنطاكية**، و **جوسلين** صاحب **تل باشر**، و غيرهم، عند طبرية.

- و حدثت موقعة عظيمة انتصر فيها المسلمون ، و كثر القتل و الأسر في الصليبيين، و ممن أسر ملكهم لكنه نجى بأعجوبة، مما جعل بعض المؤرخين اعتبار هذا النصر قريباً من نصر **حطين**.

- لم يستفد **شرف الدين** من هذا الانتصار، حيث كانت مملكة **بيت المقدس** خالية من المقاتلين، و كانت الفرصة مواتية لتحرير **بيت المقدس** ، لكن **طغتكين** خاف على إمارته ، فأمر الجيوش بالاستراحة والعودة في الربيع المقبل.

– دخل **شرف الدين** دمشق بصحبة **طغتكين**، و ذهب ليصلي في يوم الجمعة فاغتاله باطني من الحشاشين،و كان صائماً و رفض أن يفطر ولقي الله صائماً رحمه الله.

نتائج جهاد شرف الدين:

١– أعاد إلى المسلمين الثقة في النفس، و تغلبوا على مشاعر الخوف من الصليبيين، و انقلبوا من الدفاع إلى الهجوم.

٢– غرس لدى المسلمين أهمية الاتحاد و ثمرته، فلم تعد أي جماعة تخرج لملاقة الصليبيين إلا في اتحاد مع غيرها.

٣– اصاب الصليبيين بالصدمة تجاه هذا التيار الجارف، و الحيرة في كيفية التعامل معه.

٤– كفت مملكة بيت المقدس عن الطمع في ضم المزيد من الأراضي، بل و تبدل موقفها من الهجوم إلى مجرد الدفاع عن أراضيها.

الجهاد بعد شرف الدين:

– خلف **شرف الدين مودود** في حكم الموصل **آق سنقر البرسقي**، الذي عينه السلطان **محمد بن ملكشاه** .

– في خلال هذه الفترة بزغ نجم **عماد الدين زنكي**، و ظهرت شجاعته ، لهذا أوصى السلطان السلجوقي بتقديمه و الرجوع إليه في المهام العسكرية.

- بدأ **آق سنقر** جهاده ضد الصليبيين عام ١١١٤ م/ ٥٠٨ هـ: حيث اتفق مع **إيلغازي** صاحب **ماردين** على مهاجمة **الرها**، و بالفعل حاصرا **الرها** لمدة شهرين، و خربوا المناطق حولها لإضعافها، ثم انصرفوا عنها.

- لكن للأسف دب الخلاف بعد ذلك بينهما، و جرت عدة مواقع بين الأمراء في المنطقة أدت إلى إضعاف المسلمين، و استغل الصليبيون الموقف و هددوا دمشق و حلب.

جهاد الأمير **إيلغازي**:

- عام ١١١٧م/ ٥١١ هـ استجاب الأمير **إيلغازي** لنداء أهل **حلب** و قام بنجدتها من تهديدات الصليبيين، و أصبحت **حلب** بعدها تابعة لإمارة **إيلغازي**، و شكل ذلك تحولاً مهماً في تاريخ الصراع الإسلامي مع الصليبيين، و ذلك لما تتمتع به **حلب** من أهمية:

١- تشكل **حلب** مركزاً استراتيجياً حيوياً، من الناحية: البشرية،و السياسية، و الاقتصادية، و العسكرية.

٢- طبيعة موقعها بين إمارتين صليبيتين: **الرها** و **أنطاكية**، مما يشكل تهديداً مباشراً لهما.

٣- كذلك طبيعة موقعها الذي يسهل معه الاتصال بكل القوى الإسلامية: سواء في الشام أو العراق أو الأناضول.

كل هذا غير من موازين القوى في المنطقة ، و مكن **إيلغازي** من توجيه ضربات حاسمة ضد الصليبيين.

معركة البلاط (ساحة الدم) ١١١٩م/ ٥١٣ هـ:

- من ابرز انتصارات **إيلغازي** على الصليبيين.

- قاد **إيلغازي** جيشاً مع بعض حلفاءه من إمراء المسلمين، واجه به الصليبيين بقيادة: **روجر** أمير **أنطاكية**، و **بلدوين الثاني** ملك **بيت المقدس**، و **بونز** أمير **طرابلس**، و **جوسلين** صاحب **تل باشر**.

- ألحق المسلمون بالصليبيين هزيمة نكراء، حيث قتل منهم الكثير و لم ينج إلا القليل، لهذا أطلق المؤرخون الغربيون عليها معركة : ساحة الدم، و أسر الكثير ، و غنم المسلمون الكثير.

- نتائج المعركة:

١- مقتل **روجر** أمير **أنطاكية**: و بذلك صارت **أنطاكية** مهددة، بلا أمير و لا جيش، مع تآمر النصاري المحليين على الصليبيين للتخلص من حكمهم الغاشم، لكن للأسف لم يستغل **إيلغازي** هذا الوضع، و لم يحاول الاستيلاء على الإمارة، التي آلت بعد ذلك إلى الأمير **بوهيموند الثاني** (ابن **بوهيموند** الكبير مؤسس الإمارة).

٢- تحدد مصير **حلب** بعد هذه الموقعة، فبقيت تحت سيطرة المسلمين و تخلصت من التهديد الصليبي.

٣- زادت قوة الإمير إيلغازي، خاصة مع اتحاده مع أمير دمشق في مواجهة الصليبيين.

- و بعد الإمير **إيلغازي** : قاد الجهاد ابن أخية الأمير **بلك الأرتقي** ، و استطاع التغلب على الصليبيين في عدة مواقع، و استطاع أن يأسر أمير **الرها** و أمير **ألبيرة** ، بل و أسر ملك **بيت المقدس** الذي حاول أن يفك أسرهما !!

- ثم استشهد رحمه الله عام ١١٢٤م/٥١٨ هـ ، و بهذا تنتهي مرحلة قيادة الأراتقة للجهاد (١١١٩-١١٢٤ م) لتبدأ مرحلة جديدة للجهاد مع الصليبين : مرحلة **عماد الدين زنكي**.

جهاد عماد الدين زنكي ضد الصليبين :

١- قبل ولايته للموصل:

- هو **عماد الدين زنكي بن آق سنقر** ، الذي كان قائدًا من قواد السلطان **ملكشاه** السلجوقي ، وفي أثناء الصراع بين ابن السلطان **ملكشاه** بعد وفاته مع عمه وقع **آق سنقر** أسيرًا ثم قتل.

- انضم بعد ذلك للجهاد مع الأمير **مودود** ، و ظهرت شجاعته و كفايته ، مما جعل السلطان السلجوقي يعهد إلى **آق سنقر** أمير **الموصل** أن يستشير **عماد الدين زنكي** و

يقدمه، وهنا بدأ يظهر دور **عماد الدين زنكي**، ثم تولى بعد ذلك شحنكية العراق (شرطة العراق) ثم تولى إمار ة الموصل وبعدها تولى الجهاد مع الصليبيين .

٢- جهاد عماد الدين زنكي بعد تولي الموصل: (١١٢٧- ١١٤٦ م)

- انشغل **عماد الدين زنكي** بتكوين الوحدة الإسلامية بفتوحات في الشام والعراق والجزيرة الفراتية ، وفي نفس تلك الفترة كان يشن الغارات على الصليبيين .

- في الفترة من ١١٢٧م/٥٢١ هـ حتى ١١٤٣ م/٥٣٨ هـ: ركز جهوده في توحيد بلاد المسلمين، فاستولى على المدن الواقعة في الجزيرة الفراتية (منها: **نصيبين، جزيرة ابن عمر، حران)** و مدن شمال بلاد الشام (منها : **حلب ، حمص ، حماة)** ليتمكن من السيطرة على البلاد الصليبية .

- وأثناء ذلك أيضًا قام بالاستيلاء على ممتلكات الأراتقة في الجزيرة الفراتية بعد انتهاء دورهم الجهادي ضد الصليبيين فلم يعودوا يعبأوا بالجهاد، ومن تلك البلدان التابعة لهم والتي استولى عليها: **آمد** و **ديار بكر**.

- أثناء اهتمامه بهذا التوحيد قام بفتح بعض القلاع والحصون المحيطة **بحلب** ١١٣٤م/٥٢٩هـ .

- قام بفتح حصن **بارين** ١١٣٦ م/٥٣١ هـ، الذي يطل على **حماة** وحمص معا ، وكان ذلك الحصن خاضعاً للصليبيين .

- فتح هذا الحصن أدى إلى: قيام حملة صليبية جديدة ، تعاضد فيها الصليبيون مع البيزنطيين وقاد هذا التحالف الأمبراطور البيزنطي **حنا كومنين** لأن **بارين** كان حصناً متميز الموقع، وكان يهدد **حماة** و **حمص** وكان يستخدمه الصليبيون لتهديد بلاد الشام.

(كانت تلك الحملة من الحملات الصليبية غير المشهورة، و كانت تأتي في السنة الواحدة ٣ حملات و أحياناً أكثر، و هذه كانت إحداها) .

- دخلت القوات البيزنطية و الصليبية **أنطاكية**، و عقد الإمبراطور البيزنطي إتفاقية مع أميرها **ريموند** على أن يسلم **أنطاكية** للإمبراطور البيزنطي، في مقابل أن يأخذ **ريموند** كل ما يقع في أيدي البيزنطيين من مدن شامية، و يؤسس هو إمارة صليبية جديدة.

- بدأت الجيوش المتحالفة شن الغارات و تمكنوا بالفعل من الاستيلاء على بعض المناطق.

- رأى **عماد الدين زنكي** عدم مقدرته للتصدى لهذه الجموع المتحالفة فلجأ إلى الخداع ، أرسل إلى الصليبيين والبيزنطيين وأوقع بينهم وذلك جعل كلا منهم يتفرق عن الآخر،و هذا ما يظهر جانب الذكاء و الكفاءة لدي هذا القائد المجاهد .

فتح الرها: ١١٤٤م/٥٣٩ هـ:

-يعتبر فتح **الرها** من أعظم انجازت **عماد الدين زنكي**.

- وكانت تلك المدينة تسمى **بالرها** المقدسة لمكانتها عند المسيحيين حيث ورد إليهم أن مراسلات تمت بين المسيح وبين أمير **الرها** ، وورد أن **الرها** أسهمت فى ترجمة الإنجيل ، وورد إليهم أيضًا أن بعض الحواريين مدفون بها.

-أهمية **الرها**:

١- كانت من أهم الإمارات الصليبية لموقعها المتميز (قربها من **العراق**، و وجودها كحائل بين المسلمين في **الشام** و **آسيا الصغرى**)، و لقوة تحصيناتها.

٢- كانت تمثل تهديداً مستمراً للمسلمين: حيث تشرف على خطوط المواصلات و الإمدادات، و تمثل خطراً على سائر المناطق في **الشام** و **العراق** ، و تول دون تحقيق الوحدة في الجبهة الإسلامية.

- خطط **عماد الدين زنكي** جيداً ، فلجأ إلى خطة تمويه محكمة ،حيث أظهر أنه مهتم **بديار بكر وبآمد** ، أي أنه يريد أن يستولي عليها من الأراتقة ، فاطمأن **جوسلين الثاني** أمير **الرها** إلى أن **عماد الدين زنكي** مشغول عنه، فخرج من الرها إلى البلدان التابعة لها فى بلاد الشام ، فلما وردت الأنباء بخروجه عن طريق العيون تحرك **عماد الدين** نحو **الرها**، و

حاصرها، وأراد أن يفتحها سلمًا لكن أهلها أبوا تسليمها، فبدأ في نقب الأسوار حتى فتحها عنوة ، وقد عمل فيها بعض جنده بالسيف ، و قاموا باتخاذ الأسرى و الاستيلاء على الغنائم.

– ولكن **عماد الدين** أمر بالكف عن القتال، و رد ما غنمه المسلمون ، حيث أدرك **عماد الدين** بحسه السياسي أن هذه البلدة لابد أن تبقى قوية و متماسكة لاستكمال مسيرة الجهاد ضد الصليبيين.

– وبذلك تكون **الرها** أول المدن الصيبية فتحاً كما كانت أولها قيامًا ، و استكل **عماد الدين** فتح المناطق المجاورة، حتى لم يبق شيء مما هو شرق **الفرات** في يد الصليبيين ، و لم يبق في يد **جوسلين الثانى** بعد سقوط **الرها** إلا: **تل باشر** و **سميساط** و **مرعش** و **عينتاب** و **دلوك**.

– ولا يمكن أن نقبل تبريرات الصليبيين من أن **جوسلين** كان ضعيفًا وان أمير **بيت المقدس** توفي ، بل التخطيط السليم ، والنية الصادقة في الجهاد هى التى أدت إلى فتح الرها .

نتائج فتح **الرها**:

١- ارتفاع الروح المعنوية للمسلمين، و ازدياد تحمسهم للجهاد.

٢- تقوية جبهة المسلمين ، و تطهير خطوط المواصلات بين الأقطار الإسلامية.

٣- إضعاف الروح المعنوية للصليبيين و بث روح الخوف و الفزع حتى وصل ذلك إلى أوروبا.

٤- إضعاف الجبهة الصليبية و انحسار خطرها في ساحل بلاد الشام.

- اتخذ عماد الدين سياسة التسامح مع النصارى المحليين، لكن رغم ذلك الخيانة في دمهم ، فلقد تأمروا في العام التالي لتسليم **الرها** للصليبيين من جديد لكن تم القضاء على هذه المؤامرة وأعدام قادتها.

- بعد عام من فتح **الرها** قام **عماد الدين** بحصار حصن **جعبر**، وهى مدينة من الجزيرة الفراتية بجوار **الرقة** ، للقضاء على أي فرصة للتحالف بين الأراتقة و الصليبيين .

مقتل عماد الدين زنكي سنة ١١٤٥م/٥٤١ هـ :

- أثناء حصار عماد الدين لحصن **جعبر** قام أحد خدمه بقتله و هو نائم.

- و اختلفت المصادر في سبب قتله:

١- قيل أنه أغلظ له وأمر الغلام بأمر فغضب الغلام وقام بقتله.

٢-وقيل أنه كان يعمل للباطنية.

٣- وقيل أنه كان يعمل لبني عقيل الذين كان يحاصرهم عماد الدين .

٤- وقيل أنه من نفسه بعد توالي الانتصارات على الصليبيين وسقوط الرها، فلقد كان إفرنجيًا صليبيًا فى الأصل، ثم أعلن إسلامه .

وأيًا كانت الأسباب فقد مات مقتولاً رحمه الله ، و كانت خسارته فادحه على المسلمين كلهم، وجاء بعده ابنه **نور الدين محمود** ليحل مكانه في فتوحاته .

جهاد نور الدين محمود ضد الصليبيين :

بعد استشهاد **عماد الدين** انقسمت مملكته إلى قسمين:

الشرقي: و مركزه **الموصل**، و آل إلى ابنه الأكبر: **سيف الدين غازي**.

الغربي: و مركزه **حلب** ، و آل إلى ابنه: **نور الدين محمود**.

ملخص انجازات **نور الدين**:

١- استعاد **الرها** .

٢- فتح **أرتاح** .

٣- التصدي للحملة الصليبية الثانية (حملة الملوك).

٤- فتوحاته لمدن مملكة **أنطاكية** .

٥- أسر **جوسلين** .

٦- فتح **دمشق** .

٧- بناء الشخصية المسلمة.

١- استعادة الرها ١١٤٦م/٥٤١ هـ: في السنة التالية مباشرة لاستشهاد **عماد الدين**، قام النصارى الأرمن بمكاتبة **جوسلين الثاني** أمير **الرها** السابق (و الذي كان يحكم **تل باشر** بعد سقوط **الرها**)، ليأخذ **الرها** من جديد، فسار إليها وحاصرها، و استطاع الاستيلاء عليها بمساعدة الأرمن الذين فتحوا له الأبواب.

- و بمجرد سماعه بالخبر توجه **نور الدين محمود** الى **الرها** مسرعاً، و أعاد فتحها، و قضى على الصليبيين، و استطاع **جوسلين** الفرار بصعوبة .

- عاقب **نور الدين** الخونة من الأرمن.

- و بقيت **الرها** بعد ذلك في يده، و لم يمانع أخوه مع أنها من ممتلكاته أصلاً.

٢- فتح نور الدين أرتاح:

- في العام التالي استطاع **نور الدين** أن يستولي على **أرتاح** الواقعة غرب **حلب**.

- أدت تحركات **نور الدين** و انتصاراته إلى شحذ همة الصليبيين للحملة الصليبية الثانية.

٣- تصدى للحملة الصليبية الثانية (المعروفة بحملة الملوك)١١٤٧م/٥٤٢هـ

- عرفت بهذا الاسم لأن عددًا كبيرًا من الملوك أسهموا في تلك الحملة (ملك **فرنسا** – ملك **المانيا** – ملك مملكة بيت المقدس ، وغيرهم) [انظر خريطة : ١٠].

- سبب الحملة الصليبية الثانية : هي استرداد **عماد الدين زنكي للرها** .

- قام البابا **يوجينوس الثالث** بالدعة لهذه الحملة لإنقاذ النصارى في الشرق، و لعب بعض القساوسة دورًا هامًا في الدعوة إلى تلك الحرب الصليبية، أبرزهم القس **برناردر**، رئيس دير **كليرفو** ، و لاقت هذه الدعوة استجابة واسعة.

- بلغت الحماسة لهذه الدعوة أن الناس لم يصبروا للخروج، فبادروا لقتل اليهود في أوروبا، و كانت هذه هي المذبحة الثانية لهم.

- حاول **روجر الثاني** ملك **صقلية** تقديم المساعدة، و كانت له أطماع بذلك، حيث أراد السيطرة على **أنطاكية**، فعرض أن ينقل الجيوش بأسطوله ، لكن قادة الحملة رفضوا العرض خوفاً من أطماع النورمان، و قرروا سلوك طريق البر.

- تم الاتفاق على أن يسبق ملك **ألمانيا**: **كونراد الثالث** بجيشه أولاً ، ثم يلحق به جيش **فرنسا** بقيادة الملك **لويس السابع**، حتى لا يؤدي مسير الجيشين معاً إلى صعوبة التموين.

- عبر ملك **ألمانيا** البوسفور، و كان من المفروض أن يسلك الطريق الساحلى المحصن بحصون الروم هناك لكنه اخترق أراضي السلاجقه، حتى وصل إلى **أسكي شهر**، فهاجمهم السلاجقة هناك، و أوقعوا بهم هزيمة كبيرة، فر بعدها ملك **ألمانيا** إلى **نيقية** مع ما تبقى من جيشه.

- وصل جيش **فرنسا** بعد ذلك إلى **القسطنطينية**، لكن حدث خلاف مع الإمبراطور البيزنطي الذي أصر على أن يقسم الأمراء كلهم يمين الولاء له، و وافقوا بعد مشادات طويلة.

- اتخذ ملك **فرنسا** الطريق الساحلي، و صحبه ملك **ألمانيا** لفترة، ثم شعر بالضيق من العجرفة الفرنسية، ففارقهم و ذهب إلى **عكا** بحراً .

- تابع ملك **فرنسا** رحلته براً ، ثم اتخذ طريق البحر حتى وصل أنطاكية.

- طمع جميع الأمراء في مساعدة هذا الجيش، و رغم ان الدعوة كانت لتحرير الرها إلا أن كل أمير بحث عن مصلحته الشخصية.

- توجه ملك **فرنسا** بالجيش نحو **بيت المقدس** ، رغم عدم وجود أي تهديد لهذه المملكة في ذلك الوقت !!

- تم عقد مجلس صليبي كبير في **عكا** لمناقشة أمر الحملة، اجتمع فيه كل الملوك و الأمراء، و انتهى قرارهم إلى مهاجمة **دمشق** !!!

هذا الجيش القادم لاسترداد **الرها**، و استرجاع ممتلكات الصليبيين لم يفعل شيئاً من ذلك وإنما قرر مهاجمة **دمشق** التي كان يحكمها **معين الدين أنر** الموالي للصليبيين !!

- توجهوا نحو دمشق بالفعل بجيش جرار، فتصدى لهم الفقهاء والعامة، و أدرك أتابكها عجزه عن المقاومة فاستعان بنور الدين واخيه سيف الدين غازي ، فاستجابا و تحركا لنجدة دمشق.

- اختلفت كلمة الصليبين حول تقسيم الغنائم قبل أن تقع تلك الغنائم في أيديهم، كما دار الكلام حول وجود خيانة بينهم، وو سرت الإشاعات بقبول بعض الأمراء للرشاوى من صاحب دمشق نظير تركها، و استغل صاحب دمشق الفرصة و راسل الصليبيين يخوفهم من وقوع دمشق بيد نور الدين.

- ومع اشتداد الخلاف بين الصليبيين تركوا دمشق و رحلوا عنها ، و رحل الكثير من قادة الحملة عائدين إلى بلادهم .

نتائج الحملة الصليبية الثانية:

١- ارتفاع الروح المعنوية للمسلمين، و الثقة في قدرتهم على مواجهة الصليبيين.

٢- ازدياد نفوذ المسلمين، و قوتهم في الشام.

٣- تأكدت أهمية ضم **حلب** و **دمشق** لمحور المقاومة.

٤- انهيار الروح المعنوية للصليبيين، و كسر غرورهم، و كسر مهابتهم بين المسلمين.

٤- نور الدين محمود وإمارة أنطاكية :

- بعد رحيل الحملة الصليبية الثانية، جرت عدة معارك بين **نور الدين محمود** و الصليبيين خاصة أصحاب إمارة **أنطاكية**، منها معركة قلعة إنب ١١٤٩م/٥٤٤هـ : التي قتل فيها **ريموند دي بواتيه** أمير **أنطاكيه**.

- تمكن **نور الدين محمود** بعد فشل الحملة من الاستيلاء على كل ممتلكات الصليبيين في **أنطاكية** شرقي نهر العاصي ، واستطاع أن يقلص تلك الإمارة.

٥- استطاع أن ياسر جوسلين الثاني١١٥١م/٥٤٦ هـ: حيث التقى به في تلك السنة، لكن استطاع **جوسلين** أن يهزم نور الدين، و ألحق بجيشه خسائر كبيرة.

- فاستعمل **نور الدين** الحيلة، فاستعان بالتركمان الذين تربصوا بجوسلين، واستطاع أن يأسره.

- وقد كان لأسر **جوسلين** وقع عظيم: فبالنسبة للمسلمين أوقعوا بقائد داهية كان له نكاية كبيرة في المسلمين، و بالنسبة للصليبيين فلقد خسروا قائداً مهماً، و ظهر ذلك بسقوط ممتلكات **جوسلين** في يد **نور الدين** ، حيث استطاع تحرير **تل باشر**، و **تل خالد**، و **حصن البارة** و غيرها.

- و بذلك يكون **نور الدين محمود** قد قضى نهائياً على إمارة **الرها** الصليبية.

٦- فتح نور الدين دمشق ١١٥٤م/٥٤٩هـ:

- وكان فتح **دمشق** حلمًا كبيرًا لإنها كانت خاضعة الصليبيين، و بسقوطها يتم توحيد جبهة الشام. [انظر خريطة: ١١].

- و كان قد حدث في العام السابق أن سقطت **عسقلان** بيد الصليبيين، و حاول **نور الدين** تخليصها لكن وقفت دمشق عائقاً بينه و بين ذلك، لهذا اتخذ القرار بضم **دمشق**.

٧- نور الدين محمود وبناء الشخصية الاسلامية : اعتبر **ابن الأثير نور الدين محمود** أعظم حكام المسلمين بعد الخلفاء الراشدين و **عمر بن عبد العزيز**.

- اهتم رحمه الله ببناء الشخصية المسلمة، بالإضافة إلى عدله ، و إصلاحه في البلاد.

- فعلى المستوى الشخصي:

١-كان **نور الدين محمود** فقيهًا على المذهب الحنفي ولم يكن متعصباً، وهذا شيئ مهم جداً.

٢- كان عالماً بالحديث.

٣- له عدة مصنفات: تتكلم عن الجهاد و فضله.

٤- كان كثير الصيام، و القيام رحمه الله، و كذلك كانت زوجته، التي غضبت يوماً لما فاتها وردها من الليل أمر بالطبلخانه (= طبلة تدق ليلا لكي لا يفوت الناس قيام الليل).

٥- كان عفيفاً طاهر اليد، فمن ذلك :كان يخيط بنفسه ويقتات مما يخيطه يغير أن يعلم أحد.

- و على المستوى العام:

١- أول من أنشأ المدارس في بلاد الشام (والمدارس حينها كانت كالجامعات الآن وكانت تدرس كل المذاهب).

٢- أول من أنشأ داراً للحديث في **دمشق** (وأول من أنشأ دار حديث في مصر **الكامل بن العادل**) ، وكانت تدرس الحديث كالجامعة الآن.

٣- أنشأ البيمارستانات (= المستشفيات) فهو كان يهدف الى بناء الانسان روحاً وجسداً.

٤- أنشأ دار العدل وكان يجلس بنفسه للقضاء، و يقضي للمظلوم و لو كان يهودياً، و يقتص من الظالم و لو كان ولده .

نور الدين و توحيد مصر و الشام ١١٦٩م/٥٦٤ هـ:

١- غزيت **مصر** لأول مرة على أيدي الصليبين سنة ١١١٥ م/٥٠٩ هـ بقيادة **بلدوين الأول** ملك مملكة **بيت المقدس** الصليبية ، ثم قام بالهجوم مرة أخرى عام ٥١١ هـ حيث

وصل **بلدوين** إلى **الفرما** (وهي الآن غير موجودة تقع شرق بور سعيد حالياً)، و وصل إلى العريش فمات عندها ، فقام الصليبيون بشق بطنه وإلقاء أمعائه خارجاً كي لا يتعفن، و حملوه معهم و دفنوه في كنيسة القيامة ، هذا المكان عرف فيما بعد باسم (سبخة بردويل).

٢- المرة الثانية حدثت في عهد **بلدوين الثالث** ١١٦٢م/٥٥٨ هـ: عندما هدد بغزو **مصر**، إلا أن وزير **مصر** حينها **طلائع بن رزيك** صالحهم على دفع الجزية، و بالفعل لم يهاجموا **مصر**.

٣- المرة الثالثة: غزا **عموري الأول** ملك مملكة **بيت المقدس مصر** سنة ١١٦٣م/٥٥٩ هـ عندما امتنعت **مصر** عن دفع الجزية بعد وفاة **بلدوين الثالث**، ووصل إلى **بلبيس** فى الشرقية، فقام **ضرغام** الوزير الفاطمي بفتح السدود المائية ليضع حداً لتقدم الجيوش الصليبية .

- و بالفعل عاد **عموري** ، لكنه كان قد اطلع على مواطن الضعف في **مصر**: فالصراعات على السلطة فتتت الجبهة الداخلية، مع ضعف الجيش المصري المكون من مجموعة من المرتزقة، و عدم وجود تحصينات كافية.

٤- عام ١١٦٣م/٥٥٩هـ: تعرضت **مصر** إلى غزو آخر من الصليبيين ، عندما حدث خلاف على الوزارة في **مصر** بين **شاور وضرغام** ، فلجأ **شاور** إلى **نور الدين محمود** ليعيده إلى الوزارة في مقابل:

أ- تكفل **شاور** بنفقات الجيش.

ب- تقديم ثلث خراج **مصر لنور الدين**.

ج- بقاء جيش **نور الدين** في مصر مع خضوعه **لنور الدين**.

- قبل **نور الدين** عرضه بعد تفكير طويل؛ لإنه كان يخشى على الجيش الذي يسيره من الشام إلى **مصر**، فأرسل **نور الدين محمود: أسد الدين شيريكوه** ومعه ابن أخيه **صلاح الدين الأيوبي** وكان حينها شاباً .

- خرجت القوات من بلاد الشام و حتى يشغل **نور الدين** الصليبيين عن الجيش المتجه إلى **مصر** قام بمهاجمة بانياس ٥٥٩ هـ .

- ووصل جيش **نور الدين محمود** إلى **مصر** وقضى على القوات التابعة لضرغام، وقُتل **ضرغام** إلا أن **شاور** تنكر لوعده، ونقض عهده وأعلن عن عدم رغبته في وجود **أسد الدين شيركوه** في مصر، و أرسل يستعين بالصليبيين لإخراج قوات **نور الدين** من **مصر**، فتحصن **أسد الدين شيريكوه** و**صلاح الدين** ببلبيس، ولم تكن محصنة، بل وسورها كان من طين ، إلا انهم استطاعوا أن يصمدوا ٣ أشهر ضد حصار الصليبيين لهم وكان أسد الدين شيركوه رجلا عظيما ، استطاع أن يحفظ الجيش النوري.

- في الوقت نفسه قام **نور الدين محمود** بفتح حصن **حارم** بجوار **أنطاكية** وذلك ليرفع الحصار عن شريكوه في مصر، و استطاع أن يأسر أمير **طرابلس** وأمير **أنطاكية** وبهزيمة الصليبيين هزيمة شديدة عند حصن **حارم** ، خاف الصليبيون على **ممتلكاتهم** فقرروا رفع الحصار عن **بلبيس** واتفقوا مع **أسد الدين** على خروج الجيشين من مصر وعاد **أسد الدين وصلاح الدين** إلى بلاد الشام ولم يفتح **نور الدين أنطاكية** رغم قدرته على ذلك، حتى لا يتحالف الصليبيون والبيزنطيون ضده، حيث كانت **أنطاكية** تحت الحماية البيزنطية.

٥- سنة ١١٦٦م/٥٦٢ هـ: أرسل الخليفة الفاطمي **العاضد بالله** إلى **نور الدين** يشتكي من ظلم **شاور** لأهل **مصر**، و يطلب منه أن يتدخل لانتزاع الوزارة من **شاور**، فأرسل **نور الدين محمود** من جديد **أسد الدين شيركوه** ومعه **صلاح الدين** ونزلوا **مصر**، ووصلوا إلى **الجيزة** ونزل **شيركوه** ومعه **صلاح الدين** على الضفة الغربية للنيل ، وطلب **شاور** نجدة الصليبيين من جديد، وقدم شاور مبلغ ضخم للصليبيين حتى يقاتلوا قوات **نور الدين**، فوصل للجيزة وعسكر على الضفة الاخرى للنيل.

- ظلت هذه القوات في مواجهة بعضها البعض لفترة، ثم استعد الصليبيون لمهاجمة جيش **شيركوه**، فلما أدرك **شيركوه** خطتهم اندفع بقواته جنوباً إلى **ملوي** ناحية **المنيا** وعسكر عند **البابين**.

– دارت عند **البابين** معركة بين جيش **نور الدين** والصليبيين أسفرت عن هزيمة الصليبيين هزيمة منكرة، وكان جيش **نور الدين محمود** صغيرًا لا يتعدى الألفين، وتعجب المؤرخون من هذا النصر العجيب .

– عادت الجيوش الصليبية إلى **الفسطاط**، في حين توجهت الجيوش الاسلامية إلى **الإسكندرية**، ففتحت **الإسكندرية** أبوابها للمسلمين و رحبوا بهم، وترك فيها **شيركوه صلاح الدين** نائبًا وتوجه لفتح الصعيد.

– قام الصليبيون بحصار **الإسكندرية** حصارًا شديدًا، لمدة ثلاثة أشهر، حتى أكل المحاصرون الميتة من هذا الحصار، ووقف أهل **الإسكندرية** موقفًا مشرفًا مع **صلاح الدين**، وكان محبًا للاسكندرية لوقوفهم معه فقد كان بإمكانهم تسليمهم إياها لأن صلاح الدين كان غريباً في عرفهم حينها.

– هرع **شيركوه** لنجدة الجيش في **الإسكندرية**، وحدث اتفاق بين **شيركوه** وبين الصليبيين أن يخرج الجيشان من **مصر** ويعودان إلى الشام من جديد، فوافق **عموري** خاصة بعدما بلغته الأنباء بمهاجمة **نور الدين** لإمارة **طرابلس** و مملكة **بيت المقدس** ،لكن أصر **شاور** على بقاء قوة من الصليبيين بمصر .

٦- عام ١١٦٨ م/ ٥٦٤ هـ: قامت اتفاقية بين الصليبيين والبيزنطيين وبين صليبي صقلية على أخذ **مصر**، وذكر ذلك **وليام الصوري** بالتفصيل لأنه كان من المشاركين، وكان مندوبًا عن **عموري الأول**.

- ولم ينتظر **عمورى الأول** مجيئ القوات البيزنطية بينما بادر للخروج إلى مصر واحتلالها، فكاتب الخليفة الفاطمي **العاضد نور الدين محمود** لينقذ **مصر** من الصليبيين.

-قام الصليبيون بارتكاب مذبحة شنيعة لأهل **بلبيس**، فلما وصلوا إلى **القاهرة** حصنها أهلها حتى لا يدخلوها، و استماتوا في الدفاع عنها، ولو كانوا أحسنوا التعامل مع أهل **بلبيس** لفتح أهل **القاهرة** لهم **القاهرة** .

- أحرق **شاور** الفسطاط حتى لا يملكها الصليبيون ، وأرسل **نور الدين محمود** للمرة الثالثة **أسد الدين شيركوه** و**صلاح الدين الأيوبي** الذي خرج كارهاً لما حدث له في حصار **الإسكندرية**، ولما علم الصليبيون بقدومه خرجوا من **مصر**، فقتل **صلاح الدين شاور**، وهنا خلت مصر لشيركوه .

-عين **شيركوه** وزيرًا **للعاضد** الفاطمي ثم مات بعد شهرين وهنا أشار حاشية **العاضد** أن يعين **صلاح الدين** لأنه شاب غر يمكن أن يسيطر عليه (ظناً فيه أنه ليس على قدر المسئولية).

- أصبح **صلاح الدين** ملكاً لمصر ، و قام بعدة أعمال مهمة غيرت من أوضاع مصر .

حقيقة الوحشة بين نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي:

- هو موضوع حساس ومهم وهو حقيقة الخلاف بينهما ، أو ما أطلق عليه القدماء الوحشة بين صلاح الدين ونور الدين ، هل فعلا هناك خلاف بينهما ؟

أقول : درج المؤلفون القدامى على وجود خلاف عميق بين نور الدين وصلاح الدين ونقل هذا المؤرخون المحدثون والباحثون المحدثون والحقيقة تتضح مما ياتي :

١- ذكر المؤرخ **أبو شامة** أنه اطلع على خطاب من **نور الدين محمود** يثني فيه على **صلاح الدين الأيوبي**.

٢- ذكر المؤرخ **الأصبهاني** أن **صلاح الدين الأيوبي** لما توفي **نور الدين محمود** حزن حزنًا شديدًا وذكر أن أمره قد اختل وأن حساده قد كثروا ، أي أنه اغتم واهتم بوفاة **نور الدين محمود**.

٣- وذكر **الأصبهاني** أيضا أن **صلاح الأيوبي**، بعد وفاة **نور الدين محمود** أرسل إلى ابنه **الصالح إسماعيل** يعزيه ويذكر له أنه تابع له، أي : ما زال نائباً عنه كما كان نائباً عن أبيه ، مما يبين تبعية **صلاح الدين الايوبي لنور الدين** وابنه وكان غلاماً فى الحادية عشرة من أجل جمع الكلمة.

٤- اشترك **نور الدين محمود** و **صلاح الدين الأيوبي** في كل شأن يهم مصر، منها :

أ- التصدي **للصليبيين** و **البيزنطيين** و **الصقليين** سنة ١١٦٩م/٥٦٥ هـ عندما غزو **دمياط**،حيث أرادوا القضاء على الوحدة بين **مصر** و **الشام** عن طريق غزو **مصر** واستعمارها، ولما ورد نبأ ذلك **لصلاح الدين** فإنه حصن **بلبيس** وغيرها من البلاد، حيث اعتقد أن الحملة ستأتي براً من الشمال، لهذا حصن الأماكن البرية التي يمكن أن يأتوا منها، لكنهم غزو **مصر** عن طريق البحر، حيث نزلوا **دمياط** وحاصروها لمدة خمسين يوماً .

و ظهر الاتفاق بين **صلاح الدين** و**نور الدين** فإن **نور الدين** كان يرسل إليه الجند من الشام متتالياً متعاقباً، وفي الوقت نفسه شن **نور الدين** حملات على الشام حتى أجبر الصليبيين على العودة إلى بلادهم للدفاع عن بلاد الشام.

ب- الاتفاق على خطوات القضاء على الدولة الفاطمية في **مصر** بين **نور الدين** و **صلاح الدين**:

وبدأ صلاح الدين سنة ١١٦٩م/ ٥٦٥ هـ أولى الخطوات حيث أنه :

- أبطل القول بـ" حي على خير العمل " ، " محمد وعلي خير البشر " التي يقولها الشيعة زيادة من عندهم على الأذان .

– ثم اضاف الترضي على الخلفاء الراشدين أي أمر الخطباء بقول : وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي .

– أمر الخطباء أن يذكروا **العاضد بالله** الخليفة الفاطمى بكلام فيه لبس لا يفهم مثال: "اللهم أصلح العاضد لدينك" ، حيث أزال كلمة خليفة عن العاضد.

– في السنة التالية : عزل القضاة الشيعة وعين بدلا عنهم قضاة سنة، و عين قاضي القضاة من المذهب الشافعي .

– في نفس السنة بنى مدرستي الشافعية والمالكية بجوار مسجد **عمرو بن العاص** في **الفسطاط**.

– في هذه السنة أيضاً، منع الأمراء الفاطميين من التصرف في أموالهم، فلما اعترضوا، و اتهموه بأنه يريد القضاء على الفاطميين بمصر قبض عليهم و سجنهم.

وعندما سأله **العاضد** عن سبب ذلك قال له: أنهم يدبرون للخروج عليه واستمر ذلك طوال فترة حكم العاضد الذي كان كالمحجور عليه أو كأنه في سجن ، حتى مات سنة ١١٧١م/ ٥٦٧ هـ وبذلك انتهت الدولة الفاطمية .

– في سنة ١١٧٢م/ ٥٦٨ هـ:فتح **النوبة** وكانت تتبع للمماليك .

– في ١١٧٣م/ ٥٦٩ هـ : فتح **اليمن** وكان فيها شيعة فاطميين.

وذكر بعض الؤرخين القدماء ومن سار على نهجهم أنه فتح **النوبة** ليتحصن بها من **نور الدين** ويهرب إليها، وكذلك برروا فتح **اليمن** لنفس السبب ، وهذا كلام عار عن الصحة ففتحها كان لحماية المذهب السنى في **مصر** وبأمر من **نور الدين** .

المؤرخون القدامى والمحدثون وأسباب الخلاف:

- ذكر **ابن أبي طي** و **ابن الأثير** أن هناك وحشة بين **نور الدين محمود** وبين **صلاح الدين الايوبي**.

و بالنسبة **لابن أبي طي** هذا المؤرخ مشكوك فى أمره لأنه شيعي، و نور **الدين** أذل الشيعة بحلب و أبطل مشاعرهم، كما كان والد **ابن أبي طي** من رؤوس الشيعه، فنفاه **نور الدين** من حلب، لأجل هذا هو متحامل على **نور الدين**.

أما **ابن الاثير** فكان يعيش في كنف الزنكيين و منحازاً لهم .

- استدل **ابن الأثير** على وجود هذه الوحشة : بأن **صلاح الدين الأيوبي** حاصر حصني **الشوبك والكرك** (حصنان يقعان على الطريق بين مصر والشام وبين مصر وبلاد الحجاز) وجاء **نور الدين** من الشام إلى مصر للحصار لكن **صلاح الدين** تركه وعاد إلى مصر ، قيل: خوفاً من **نور الدين**، وفي السنة التالية حاصر **الكرك** وجاء **نور الدين محمود** من الشام لحصارها ولكن **صلاح الدين** ترك حصار **الشام** وذهب إلى **مصر** .

فما هو السبب الحقيقي لهذا؟

كان **صلاح الدين** يدرك أن هذين الحصنين لايمكن أن يقعا بسهولة، **وصلاح الدين** كان خائفاً على الوضع فى مصر حيث إنه كانت هناك مؤامرة من الفاطميين على مصر لاسترادها، فخشي **صلاح الدين** أن يطول الحصار على **الكرك** و**الشوبك** وخشي على مصر فكان يعود للاطمئنان عليها .

- والدليل على قوة هذين الحصنين وأنهما منيعين أن **صلاح الدين الايوبي** فتحهما ١١٨٩م/٥٨٤ هـ رغم أن **نور الدين محمود** توفي سنة ١١٧٤م/٥٦٩ هـ (أي بعد ١٥ عاماً من وفاة نور الدين) ، وأخلاق **صلاح الدين** تمنعه من أن يفكر بالاستقلال بمصر وأن يتخلى عن **نور الدين** والوقوع معه فى خلاف .

- لكن هناك خلاف يسير وقع بين **صلاح الدين** و **نور الدين** :

سببه: أن **نور الدين محمود** كان يريد مالاً كثيراً ليستعين به في جهاد الصليبين، ولكن **صلاح الدين** كان يرسل مالاً قليلاً ، لأنه كان يقوم بمشاريع كثيرة في مصر مثل: بناء المدارس، وبنى سوراً حول القاهرة والفسطاط، و بنى قلعة الجبل ، كل هذا لتحصين القاهرة (لا ليهرب إليها كما ذكر البعض).

-كما بنى أبراج **الإسكندرية** ، وأقطع الجند الاقطاعات وأنشأ الجيش المصرى، وبدأ فى إنشاء الاسطول المصرى، كل هذا من مصلحة **مصر** و **نور الدين**، فأنفق **صلاح الدين** ماله كله فى هذه المشاريع فكان يقدم مالاً قليلاً **لنور الدين محمود**.

هذا هو الخلاف اليسير ، وكلا الرجلين مجتهد ومصيب، ليس هناك وحشة كما ذكر ولو كان يريد الاستقلال بمصر لما استولى على أيلة لأجل وحدة الشام ومصر .